

محمد اديب العامري

صفات الرجل العصري

بقلم محمد اديب العامري

* * *

الرجل العصري رجل يتصف بروح الزمن الذي يعيش فيه ، ويدرك ريح التغير التي تهب من حوله او تعصف بالبلاد التي ينتمي اليها او بالعالم الذي يحيط بـه .

ويخطر ببالنا الرجل العصري ، او المعاصر ، اكثر ما يخطر حين نعاين الفرق المعهود في التفكير بين الاجيال الجديدة والاجيال القديمة التي تسيطر عادة على مقاليد الامور في العائلة والمدرسة والمجتمع جميعا . وكثيرا ما يتخذ هذا الفرق شكل الملاحاة او الصراع فتندفع الاجيال الجديدة بعلمها الحديث وعاداتها المبتدعة ترى في هذا وذاك من العلوم والعادات والاراء ما يحملها على الاعتقاد بامتيازها ومجاراة ميولها لمقتضى الزمن ، فتتعجل الامور لتحل محل الاجيال القديمة وتحاول المشاركة في العمل العام او المبادرة للقيادة والسيطرة . ووضع كهذا لا بد وان يؤدي الى الخلاف والصراع وشيء من النفور والكراهية .

ورجل الجيل القديم الذي لا تتطور عقليته ولا يرضى بالتغيير عرضة لهذا الصراع اكثر من غيره ، وخاصة اذا كان الفكر الذي يحمله شباب الجيل الجديد صحيحا ينسجم مع التطور الطبيعي والتقدم الاجتماعي لحياة البلاد . واذا اضحى المجتمع في ظاهراته الرئيسية وفي اي فترة من فتراته نهبا مقسما بين رجل قديم غير متطور وشاب حديث غير واع فقد ساء الحال واختل الامر ، كما يسوء ويختل الان في بعض المجتمعات العربية والاجنبية .

اما الرجل العصري فيختلف عن هذا وذاك . يختلف عن الرجل التقليدي في ان عقليته وشخصيته تتطوران مع الزمن ، ويختلف عن الشاب الحديث في انه يعي ما يعيه هذا الشاب من فكر متطور وراي حديث ، ويزيد عليه في انه يغترف من خبرة الماضي ويتطلع الى آفاق المستقبل تطلعا يمكنه من البصر بشيء مما يحمل هذا المستقبل في ثنايـاه .

وقبل ان نزيد صفات الرجل العصري ايضاحا نقول ان الرجل العبقري في هذا المضمار يختلف عن الرجل المعاصر في انه احدّ رؤية لما سيتطور اليه العالم خلال فترة طويلة من الزمن — اطول من الفترة التي يستطيع الرجل العصري ان يلم بها او يكتنه تطوراتها . ومع ان تنبؤات الرجل العبقري تكون ابعد غورا من تنبؤات الرجل العصري ، فانها تكون في معظم الحالات محدودة النطاق وتقتصر على جانب من الحياة يتعلق بالجانب الذي يبرز العبقري فيه .

والرجل العصري رجل غير عبقري في الغالب ، غير انه في الوقت نفسه رجل اكثر من عادي ، اذ هو من الطبقة الممتازة في المجتمع الذي يعيش فيه ، ومن ذوي الذكاء والخبرة بنواحي الحياة المختلفة .

واولى صفات الرجل العصري في نظري هي ايمانه بالفكرة التطورية . وللتطورية افقان : الاول منهما هو الذي تمنحه الفكر نظرية التطور العضوي المعروفة لداروين . والثاني ، وهو الاوسع ، هو الذي نرى منه الكون مشمولا بسنن التطور في سائر اجزائه العضوية وغير العضوية والاجتماعية . ورجل التطور ، حتى بالمعنى الاول ، يستطيع ، وقد وعى تطور الحياة العضوية ، ان يخطو من نفسه خطوة اخرى فيرى معها تطور الحياة الاجتماعية في الوسط الذي يعيش فيه . ان الرجل الذي راى كيف سرى شعاع الحياة من ابسط اشكالها في الاحياء من ذوات الخلية الواحدة الى اعقد هذه الاشكال في الدماغ البشري لا يجد صعوبة مثلا في امكان انتقال الحياة البدوية الى حياة المدنية الراقية ، لانه راى خطوات من التطور تتم وهي على جانب من الصعوبة والتعقيد يفوق هذا الجانب . انك لا تسمع من الرجل العصري اذن قولا بان حياة البدو « خلقت هكذا وستظل هكذا » ، لا يمكن تطويرها الى حياة الحضر ، او ان حياة القرية لا يمكن تغييرها وتحسين شكلها ، وذلك لانه راى ببصره وبصيرته عملية التطور عضوية واجتماعية . ورجل التطور لن يقول لك ان البلاد العربية لا يمكن تصنيعها ، حيث يقتضي الامر التصنيع ، لانه عاين عملية التصنيع تنشأ وتنتشر في بلاد عديدة اخرى تشبه بلاد العرب او لا تشبهها . ورجل العصر لن يقول لك ان العقل الاوروبي يختلف عن العقل الشرقي او العربي ، او ان في الدم خلافا يميز

بينهما ، لانه اطلع من سنة التطور وعلوم الحياة ان العقول او الدماء لا تنقسم على اساس شرق وغرب او شمال وجنوب .

على انه من المهم ان نلاحظ هنا ان نظرات شباب الجيل في دراسة التطور العضوي او التطور الكوني ترتكز عادة الى النظريات الاخيرة التي توصل اليها العلم في هذا الباب . وهؤلاء الشباب لا يلمون في الغالب بالفترة التي سبقت حياتهم بجيل او جيلين اكثر من المامهم بحوادث التاريخ الماضي ، لان هذه الفترة عندهم كالتاريخ ، لا يدرسونها الا كما يدرس المرء حوادث الماضي ووقائعه . اما الرجل العصري فيكون قد مر بهذه الفترة في شبابه وثقفها ثقافة كاملة ، فاذا اضاف اليها اطلاعه الحسن على ما قد اطلع عليه الشباب في دراساتهم الحديثة وخبراتهم الجديدة فانه يكون في موقف مماثل من قابلية الفهم والتطور ، او ربما كان في موقف افضل حقا ، وهو الاجدى ، لان الامة والمجتمع بحاجة اكثر الى من تفهموا ثقافة الحاضر واختزنوا ثقافة الماضي .

فاذا كان الامر على ما اشرنا فان الرجل المعاصر ذا العقلية التطورية لا يبلغ هذا القدر الا وقد استمر في المطالعة والخبرة استمرارا يمكنه من تفهم عقلية الجيل الجديد فيستطيع بذلك ادراك عقلية هذا الجيل والتعبير عنها وادراك مشاكلها ومسايرة حياتها ٪ ومن ثم ريادتها وقيادتها .

ومن الامارات القريبة على ذلك ان الرجل العصري لا يصطدم باولاده متى ترعرعوا وشبوا واصبحوا من ذوي الراي ، بل هو يصادقهم وينفتح لهم فلا يجد حرجا مما يقولون او يرتؤون . وهو من بعد يستطيع ان يدرك الحوافز الصحيحة للاجيال الجديدة فيتمشى معها بل يشاطرهم اياها . ولسنا نقول ان رجل العصر يجب ان يعترف بانحرافات الشباب في السلوك العابث او الراي الفج ، بل هو يقاوم ذلك ويرد الاجيال الجديدة عنه ، وبخاصة هذا الهروب من الحياة ومسؤولياتها الذي تعانيه في بعض الاجيال الجديدة في الشرق والغرب .

واذا كان هذا موقف الرجل العصري فانه لا يشكو شكاة الفنان الالماني لدويج ريتشر حين قال وهو في الستينات من عمره : « اننا معشر الفنانين نشعر بالغربة ، لاننا في الحقيقة لا ندرك ما يقوله الاخرون من حولنا ، ولا هم يدركون ما نقول . ان ما نحترمه ونحبه ونحرص عليه من الاشياء لا يحرك في الاجيال الجديدة شعورا ولا يثير رأيا . اما الامور التي يجدون فيها قيمة وتحفزهم الى الاعجاب والمسرة فلا تثير فينا الا قليلا من الاستجابة ، بل انها غالبا ما تصدم احساسنا فنجد فيها ما يستدعي الاعتراض » .

ورجل العصر رجل يتبع طريقة العلم في تفكيره وخطواته وسيره . ولست أقول « الطريقة العلمية » لان هذه اسلوب معروف في التوصل الى المعرفة في علوم محدودة قائمة على التجربة مثل الفيزياء والكيمياء . ولكني اتوسع في التعريف فاقول « طريقة العلم » على اساس اقتباس خطوات الطريقة العلمية والاستفادة منها في دراسة فروع المعرفة كافة . وخطوات الطريقة العلمية معروفة ، فهي تبدأ ، عند دراسة مسالة ، بجمع الحقائق والشواهد عن تلك المسالة ، مهما تشعبت هذه الحقائق وتباعدت ، ثم تنسق الحقائق لمعرفة ما بينها من ترابط او تعارض ، ثم تصنف حول المسالة التي تقع تحت الدراسة ، فاذا ظهر فيها راي ترجح هذا الراي في نظرية . ثم ياتي تطبيق هذه النظرية ، فاذا توافرت لها الشواهد المؤيدة فقد تصبح مذهبا وطيدا لا يبتعد الا قليلا عن الحقيقة الثابتة او القانون العام . فاذا كانت الحقائق الجديدة والشواهد التي تتبين مع الزمن مصداقا للمذهب توطد واصبح قانونا من قوانين الطبيعة او الحياة . والاساس الشامل في الطريقة العلمية هو المشاهدة والتدقيق والقياس وغيرها ، لا السماع ولا الشائعة ولا مثل ذلك . وتتلخص طريقة العلم حين تتمكن من انسان في ان يصبح مجردا عن الهوى والعاطفة محبا للحق والحقيقة يقيم استنتاجاته على البينات الحسية والادلة القطعية .

ورجل العلم يتمكن من الطريقة العلمية فيتبعها في حياته الواقعية . ومن هنا يقل تحكيمه لعاطفته ويشتد تمحيصه للامور ، ودقته في النظر والقياس والمراجعة ، الى ان يصل الى راي قاطع يكون صحيحا او اقرب ما يكون الى الصحة . ورجل العصر يتسم بالبعد عن التعصب لرايه وتقل في نظره قيمة نفسه ـ القيمة القائمة على العنجهية والكبرياء ، فيكون متواضعا وتضعف لديه الروابط القبلية لتحل محلها روابط المحبة والصداقة لافراد العائلة وللمواطنين وغيرهم على السواء . ومن هنا ايضا يتجه اهتمامه الى الفكرة لا الى الشخص والى المؤسسة او المعهد لا الى العشيرة او القبيلة ، والى الصالح العام لا الخاص ، ويذوب عمله في سبيل المجتمع والامة فيصبح هذا في مستوى الواجب الاجتماعي لا النفع الشخصي ، كما يصبح قانعا يؤثر من دنياه الكرامة والعيش الكافي والثقافة والعلاقات الصحيحة .

والرجل العصري متفتح على العالم الجديد متطلع الى احدث التطورات . وسبب تفتحه هذا وتطلعه هو احاطته بهذه التطورات . وسبيل الاحاطة هو المطالعة والاتصال والاسفار والمشاهدات . ان هذه الاحاطة نفسها تفضي الى انتهاء المقاومة التي يجدها الانسان عادة من نفسه لقبول التجديد والتغيير . ومن هنا كان رجل العصر غير معارض للتغيير ، بل يتولد عنده مع الزمن ميل اليه ومحبة له . وبسبب من هذا تنتفي منه فكرة المحافظة على التقاليد البالية ، بل تتولد لديه نزعة تحفزه الى مجاراة التطور الحضاري . وهنالك اسباب بالطبع عميقة تولد

عند الرجل التقليدي كراهية التطوير والتغيير . فالذي تتطلبه طبيعة الاشياء من الرجل العصري يقتضي جهدا لا يرغب الرجل التقليدي في بذله ، لان التخلي عن المألوف الذي اصبح عادة مستحكمة يقتضي ، كما هو معلوم ، اكتساب عادة جديدة او اتباع سلوك آخر ينطويان على جهد ، وقد يعرضان صاحبهما للنقد والكراهية . والارجح ان لا يكون الرجل العصري محبوبا في الوسط الذي يعيش فيه . وهذا في حد ذاته يؤثر بعض الشيء على نجاحه في بلوغ اهدافه ، ولكنه لا يكسف صفات النجاح التي يتحلى بها . والرجل العصري يقتفي في الغالب اثر الغرب فيما وصل اليه هذا الغرب من تطور وتغير في وسائل انتاجه وطراز حياته ، وقواعد تفكيره . والغرب في الشرق مكروه كرها عاما يمتد اثره الى الذين يتمسكون بشعائر الغربيين في اسباب حضارتهم وشكلها . وما يزال في الشرق ــ العربي وغيره ــ فئات كبيرة تكره في الغرب كل شيء او تكره فيه اشياء كثيرة لاسباب تاريخية ودينية ، اهمها ما جنى الغرب على الشرق في استعماره الشائن مما لا تزال ذكرياته الاليمة عالقة بالاذهان تستعيد معايبه ومثالبه .

على ان تفتح رجل العصر على العالم الجديد لا يعني التقليد الاعمى . فالرجل العصري لا يقلد لان نظرته الى الامور علمية ، ولذا فهو يتنزه عن التنكر لشيء من بلاده اذا كان لهذا الشيء معنى وفائدة . وهو متفتح الذهن على لباب ما تنتجه الحضارة الحديثة يريد اقتباسه لبلاده ، اقتباس المتفهم المستفيد لا اقتباس المقلد الضحل. ولما كانت الحضارة الغربية اليوم هي التي تحمل المشعل الحضاري ، فلا بد من الاهتداء بهذا المشعل الذي حمله العرب قرونا طوالا فاقتبس الغرب من نوره اقتباسا واسعا خلال ازمنة متطاولة كانت تعلو في وجهه صيحات المستنكرين من الغربيين الذين نددوا بذلك الاقتباس « المعيب » عن العرب والمسلمين .

ولقد يلتبس الامر هنا على القارىء الكريم فيظن ان رجل العصر يجب ان يكون في مركز القيادة ، زعيما او واحدا من الزعماء في البلاد . ليس هذا هو الواقع ، وان كان رجل العصر لا يتصف بهذه الصفة الا وقد ارتفع عن الرجل العادي في بلاده واصبح في طليعة المفكرين واولي الراي والامر . واذا ظفرت البلاد بطبقة حاكمة تتصف بروح العصر على الصورة التي وصفناها فقد أوتيت حظا كبيرا ، وهي عندئذ متطورة تزداد من هذا التطور نصيبا كل يوم ، او متخلفة تأخذ هذه الطبقة بيدها الى معارج الرقي والتمدين . ومع ان رجل العصر ايجابي فعال يتقدم الى امام كما قلنا ليقوم بدوره كانه واجب عليه ، فانك قد تلقى الرجل العصري الذي لا يحرك ساكنا ولا يزيل منكرا . هو عصري النظرة ولا شك ، ولكن عصريته منقوصة بقدر ما بين القول والعمل من مسافة لا يقبلها الناس كثيرا في هذه الايام .

والرجل العصري رجل عملي مخلص ، يريد ان تكون بلاده عصرية . وهو يرتكز في ذلك الى اسس اقتصادية ونظم سياسية ، وغايات تعليمية ومؤسسات اجتماعية ومثل فكرية فنية وروحية .

فالاسس الاقتصادية العصرية التي يقوم عليها تمدين البلاد ، او نقلها الى مرحلة « العصرية » ، تشمل في مثل احوالنا استغلال موارد البلاد كافة وتحضير البدو ورفع مستوى الريف وتحديث المدينة بطريقة التخطيط الشامل . أما النظم السياسية فيؤمن رجل العصر بما يوفر منها الديمقراطية الكاملة دون تردد أو مواربة . وأما النهضة التعليمية فينظر اليها رجل العصر على اساس قاعدة الماء والهواء . وأما المؤسسات الاجتماعية فتشمل سائر الوسائل الكفيلة باصلاح المجتمع على أسس من العدالة الاجتماعية ، لا على أسس من الصدقات والتبرعات أو ما شاكلها . وتشمل هذه ما اخذنا بطرف منه في الاردن وبعض البلاد العربية لانشاء نظم التاميم الصحي والضمان الاجتماعي وغيرهما . ويرى رجل العصر ما في النمو الثقافي والفني والروحي من تكامل مع مظاهر النهضة الاخرى وما يؤديه ذلك للمجتمع من سعادة وكرامة .

ان الرجل العصري مواطن لبلد ناهض أو لبلد يغذ السير نحو نهضة تشمل مظاهر النظافة والكفاية واللباس الحسن والمسكن الواقي الجميل ، كما تتجه نحو النهضة الزراعية الحديثة بالاتها الجديدة وانتاجها الوافر القائم قواعد علمية ، ونحو التصنيع الذي يملأ البلاد الى الحد الممكن بالآلة ، وما ينتج عنها من عمل يرفع الدخل الوطني بسرعة ويقوي ثقة المواطن بنفسه ويؤدي الى الاثار المتعددة التي تبدو على شخصية المواطن فتنقله من عالم الى اخر . ولا حاجة اليوم للقول بان البلاد العصرية تمتلىء بالمدارس والمعاهد والجامعات المختلفة على نحو يلبي حاجات المواطنين جميعا ، كما تمتلىء بالمستشفيات والعيادات ومظاهر الوقاية الصحية والعلاج انتشارا يوحي بان حاجات المواطنين قد قضيت او كادت . هذا وتنتشر في البلاد العصرية وسائل المواصلات على سائر اشكالها ، كالطرق المعبدة والتلفونات ووسائل النقل الصحافية والاذاعية وغيرها .

ولا نحتاج الى مزيد من التعداد لمظاهر المدنية الحديثة التي يسعى اليها الرجل العصري . فلو زرت بلدا أوروبيا راقيا كالسويد أو المانيا او بريطانيا لبدا لك شيء مما نقول ومما يعتبر هدفا لطالب المدنية الحديثة يتناوله كله على الارجح ، دون ان يستطيع التخلي عن شيء منه ، اللهم الا ما كان متصلا بالتراث الديني أو القومي او الاجتماعي الذي يظل جزءا من كيان الامة على الرغم من تمسكها باهداب التمدن

الحديث ، وان كان هذا التراث نفسه يخضع للتعديل الذي تحدثه المدنية على هذا التراث .

ولا يستطيع رجل العصر ان يحقق شيئا مما يراد منه الا اذا تذرع بوسائل عملية لبلوغ الاهداف التي تحدثنا عنها . فالايمان بهذه الاهداف واذاعتها بين المواطنين أمر ضروري ، اذ ان ارادة رجل العصر ومن يماثله من طليعة المفكرين لا تكفي وحدها لبلوغ الشكل الحديث لحياة الناس ، بل ان كل مواطن يجب ان يقوم بنصيبه منه ، وعلى قدر ما يؤمن الرجل العادي بامكان التحسن والتطور والانتقال من دور الى دور تسهل مهمة القيادة العليا للمجتمع التي يقف رجل العصر في صف مع رجالها ونسائها .

وتحتاج هذه الاهداف الى وسيلة اخرى شاع ذكرها في الدول الحديثة، نامية وغير نامية ، الى درجة انه ما من امة تحترم نفسها اليوم ، على حد قول هـ.ج. ويلز ، الا وتتحدث عنها ، الا وهي التخطيط . وليس التخطيط الا توجيها لجهد العاملين في تقييد وتصميم الى الهدف الذي يرسمه رجل العصر ، وهو دليل النية الصادقة على بلوغ هذا الهدف في زمن معين .

ويجب ان لا يوحي قولنا هذا بان رجل العصر رجل اقتصاد سياسي وحسب ، بل قد يكون فنانا انصبت حواسه على فنه وحده . ولكن فنه يكون منقوصا حين تنقطع صلته كل الانقطاع عن كل فن من الفنون الاخرى أو عن العلوم أو عن الحياة الواقعة . وقد لا يكون مطلوبا منه ، وهو فنان محصور ، ان يلم بشيء من الفنون الاخرى والعلوم والاجتماع . ولكنه اذا جهل هذه الصلة وموقعه منها أضاع شيئا كثيرا من صفات الرجل العصري .

وقبل ان نختم هذه الكلمة نشير اشارة خاصة الى صفات فردية يتصف بها الرجل العصري لا نستطيع في الغالب الا ان نتصورها فيه . وتتعلق هذه الصفات بقواعد التحضير أو التمدين الذي تحدثنا عنه وعن مظاهره ، وبالغايات التي تفضي اليها هذه القواعد .

فانت لا تستطيع بعد كل ما ذكرنا ان تتخيل رجلا عصريا دون ثقافة . وحتى هذه الثقافة يجب ان تكون نزاعة للتطور والتغير والتقدم . وانت لا تستطيع ايضا ان تتصور ثقافة لرجل عصري منفصلة عن الحضارة الغربية التي تقود العالم في الوقت الحاضر كما اسلفنا، ثقافة تلم بالاقتصاد والسياسة والاجتماع والتعليم الماما واسعا وتتعمق ناحية من نواحي المعرفة نقطة ارتكاز لهذه الثقافة . وطبيعي ان تكون ثقافة الرجل العصري منسجمة مع هدف الحياة الايجابي كما اشرنا ، اذ الحياة التي تحياها أمة ما هي الا مرآة تنعكس عليها مرحلة تطورها وتغيرها . وهذه المرحلة ذاتها قابلة للتغيير ، واتجاه تغيرها هو الى الامام . ولذا كان رجل العصر الحقيقي متفائلا يتطلع دائما الى مستقبل افضل ولا يتصور الردة والتخلف أو يرضى بهما . والرجل العصري يؤمن بالعمل . فاذا تركنا الراي الفلسفي القائل بان الحياة لا تعني شيئا بلا عمل ، فان طباع رجل العصر مفطورة على العمل والداب في سبيل الاهداف التي يلتزم بها . وفي هذا الصدد يرى انكلس عضور الاكاديمية الاميركية للعلوم والفنون ، الذي أوحى لنا هو وزملاء له بفكرة هذه المقالة ، ان الرجل العصري يلتفت الى الحاضر والمستقبل ولا يلتفت الى الماضي فيقول : « اننا نعتبر الرجل اكثر تمدنا وعصرية من غيره اذا رضي عن قاعدة التوقيت والتحديد ، اي عن قاعدة التقيد بالبرامج ، على اعتبار ان ذلك امر معقول بل مطلوب . يقابل ذلك الرجل الذي يظن ان القواعد الموضوعة والبرامج شر لا بد منه ، أو شر محض وحسب . فرجل العصر محافظ على الوقت ، منظم في شؤونه ومنسق في سلوكه » .

ورجل العصر الناضج يكون متواضعا عاملا يؤمن بالفضائل والقيم ، ويخلص لامته وبلاده ، ويثور على كل ما يقف في طريق تطورها من عوائق الاستعمار والرجعية واسباب التخلف والفقر وسوء المظهر ، بل هو يرغب في ان يرى كل مواطن من مواطنيه متمتعا بكفايته المادية ، متحليا بثقافته الفكرية ، مزدانا بنضجه الروحي متمتعا بكرامته معتزا بنفسه وبلاده .

عمان ـ الاردن　　　　محمد اديب العامري

القيثارة

يا من غصصت كأعماقي بنجواك
هذي بقاياي أم هذي بقاياك
شحرورة الليل ما فحواك من حطب
وان شدوت بالواح واسلاك
اذا الدروب تمطتها كآبتها
وهوم الليل في باب وشباك
سكبت كل صباح في محاجرنا
فمن تراه عن الاشراق أعماك
ها أنت في الركن مثل الركن مهملة
كاننا قبل هذا ما عرفناك
اين الحكايات أين الحب يبعثه
جمال لحن أطارته حناياك
لوح تفكك ألواحا مبعثرة
كانها فكرة في رأس شكاك

الكويت　　　　محمد الفايز

هذا شبابي!

لا تسأليني عنه أين أضعته ... أنا حيث شئت له وشاء وضعته
غنيته نغما على وتر العلا ... وبكل أفق كوكبا أطلعته
لم أذره دمعا ولا صعدته ... لهفا على ماض به متعته
قد صنت أدمعه له فاذا مضى ... عني الشباب بدمعه شيعته

* * *

هذا شبابي في يدي بقية ... منه لقيت بها الجمال فرعته
هي فضلة السيف الصقيل بحده ... صارعت جبار الهوى فصرعته
غمدته بالحب الجفون كأنما ... بالسحر من فتكاتهن طبعته
وكأنني فضضته بمشيبه ... وبتجربات الدهر قد رصعته

* * *

لم ألقه شركا ولا اطلقته ... ربقا على صيد به أطمعته
شوقته للمعليات فرامها ... وبكل غاية سؤدد اولعته
وبه زهوت ، وما كسرت شموخه ... يوما ، ولا لمسلط اخضعته
والظلم ما داويته بشمائلي ... بل من عصارة خلقه جرعته
وهززت قائم عرشه كي يرعوي ... ولو انتقمت لعزتي زعزعته
اما البيان ولي نقاوة نسجه ... بَرء على لهب الجراح خلعته
تاج الفصاحة ، وهي تعرف ربها ... عنه اشحت بجبهتي ففجعته
نسجت عليه العنكبوت خيوطها ... عن مفرقي ، للزهد ، حين وضعته

* * *

اما الهوى ، فاذا سالت عن الهوى ... هو ليس اول جائع اشبعته
اكرمت عن مهوى الخضوع جبينه ... قسما ، وعن مجرى الدموع رفعته
واغر مثلك في المهى أتبعته ... خطوي ، ويخطىء من يقول تبعته
برئت حبالي منه ، أوقع نفسه ... فيها ، ويزعم انني اوقعته
اغراه ماء شبيبتي فاجتازه ... ظمآن يسأل عن دمي فمنعته
فاغتاظ يحدجني باحور فاتك ... من قبل أن أدمى به أدمعته
فغسلت سحر جفونه بدموعه ... ومن الغواية للهدى أرجعته

* * *

للمته بالحزم عن اهوائه ... وعلى ارادة عزمه جمعته
وبه دفعت مزودا بطموحه ... وبه بلغت السؤل حين دفعته
وزها فما فرطت في ريحانه ... لا بل قطرت عبيره واذعته
أسكرت ايامي ولم أسكر به ... وبه وقرت امام من تعتعته
نشأته في الفضل وفق تخيري ... حتى كأني باليدين صنعته
وكأنما هو من خيالي صورة ... وكأنني من خاطري ابدعته
هذا شبابي ، أين سرت لقيته ... بسواك يا وطني وفيك أضعته
ان يعر من ورق الربيع فها انا ... بيدي على ورق الخلود طبعته
واذا الزمان نبا بجلدة وجهه ... عني ، رفعت مجلدي وصفعته!!

فارس سعد

نقـولا يوسـف

احمـد خـاكي

بقلم نقـولا يوسـف

يعرف المحدثون « احمد خاكي » رائدا من رواد الحركة التعليمية ، ومجاهدا في ميادين التربية والتعليم ـ عاملا على تطويرهما وتجديدهما طيلة الاعوام الاربعين الماضية من حياته ، تتلمذ عليه خلالها جيش من حملة المشاعل والشبيبة الصاعدة ـ مدرسا وناظرا ومديرا لمناطق التعليم ووكيلا اليوم لوزارة التربية .

كذلك يعرفه المخضرمون رائدا من رواد الحركة الثقافية العربية ، اسهم فيها بالقلم ، باحثا ومؤلفا ومترجما .. مزودا برصيد كبير من الاطلاع على الآداب الشرقية والغربية .. والواقع ان هذا المربي الاديب ، ظل خلال تلك الاعوام الاربعين ، يحرث الارض البكر بذراعين احداهما اختصها لميدان التربية ، والاخرى لميدان الثقافة، ولم يلق الى اليوم فاسه ، مهديا ثمرات غرسه في هذين الميدانين المتصلين ، الى امته وبيته ..

ولد احمد خاكي في القاهرة عام ١٩٠٨ .. وكان والده اديبا شاعرا ترك ديوانا من الشعر ، فشب ولده يحب الادب ويتذوقه .. وتلقى بمدارس القاهرة تعليمه وفي منتدياتها واظب على حضور المحاضرات والتمثيليات .. وفي مكتباتها ثابر على المطالعات والدراسات ..

وعندما تخرج في كلية المعلمين العليا (قسم الآداب) عام ١٩٢٩ ـ مارس مهنة التعليم مدرسا ، ثم ما لبث ان ارسل بعد سنتين الى جامعة « اكستر » بانجلتره حيث قضى عامين في تجويد اللغة الانجليزية ، والاطلاع على ادبها القديم والحديث ، وكب على قراءة مؤلفات برناردشو وهاردي بخاصة .. وعاد الى وطنه عام ١٩٣٣ ليستانف التدريس بالمدارس الثانوية ودار العلوم .. ثم كان عام ١٩٤٠ مفتشا لهذه اللغة ، نقل بعدها ناظرا لمدرسة بور سعيد الثانوية (١٩٤٤ ـ ١٩٤٦) وجعل هذه المدرسة نموذجية تسير على احدث النظم التربوية ..

وكان قد لمس خلال هذه السنوات ما يعانيه الطالب العربي في استيعاب هذه اللغة الاجنبية ، وما يلازمه فيها من ضعف حتى دراسته الجامعية ، فعمل بشتى الوسائل من توجيه وارشاد ومحاضرة ونشرات ، على علاج هذا النقص ، ومن ذلك كتيب اصدره بالانجليزية عام ١٩٤١ بعنوان : « تقرير عن تعليم اللغة الانجليزية في المدارس ». كما بدأ ينشر سلسلة من الكتب الانجليزية يبسط بها للطلاب بعض القصص العالمي لتدرس في المدارس الابتدائية والثانوية ، وكانت تلك الكتب من قبل وقفا على جهود المدرسين الانجليز وحدهم .

وما كادت الحرب العالمية الثانية تضع اوزارها عام ١٩٤٦ حتى ارسلته وزارة التعليم لخدمة بلاده في الخارج، فكان وكيلا لمكتب البعثة المصرية بلندن ، ومديرا للمعهد الثقافي بها مدة ثلاث سنين .. بعث بعدها ملحقا ثقافيا ببغداد حيث قضى عاما .. فمديرا لمكتب البعثة المصرية في واشنطن وهناك مكث خمس سنوات (١٩٥٠ ـ ١٩٥٥). وهكذا قضى هذه الاعوام التسعة خارج بلاده مؤديا لوطنه جليل الخدمات :

ففي لندن كان يقوم الى جانب الاشراف على مواطنيه المبعوثين للدراسة ، ورعايتهم ، بالقاء المحاضرات العامة في شتى الاندية والمعاهد ، وفي لغة انجليزية بارعة ، لتعريف الانجليز بقضايا العرب وحقهم في الاستقلال وفي قناة السويس .. وفي فراغه كان يعد الكتب المدرسية والقصص الانجليزية المبسطة .. وفي بغداد كان يحاضر في الوحدة العربية ، ويضع الكتب الدراسية عن برناردشو، وديكنز ، وجالسورثي وهاردي ليحث على مطالعة الثقافة الرفيعة في اللغة التي يدرسونها الى جانب لغتهم القومية.

وفي اميركا لاحظ ظاهرة غريبة هي طغيان الثقافة اليهودية على الفكر الامريكي اكثر من طغيان الاقتصاد اليهودي على الحياة الامريكية ، فعمد الى عقد الندوات والمحاضرات لتبصير الامريكيين بالروح العربية والثقافة العربية وحقيقة الاوضاع عامة مما كانوا يجهلونه كلية ..

وعاد احمد خاكي الى وطنه مثقلا بالتجارب والخبرات ، والمطالعات والدراسات ، واختير كبيرا لمفتشي اللغة الانجليزية بوزارة التعليم فيما بين ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨ .. واخذ ينشر الابحاث الادبية والمقالات التربوية في الصحف والمجلات .. كما انشأ عام ١٩٥٦ مجلة تربوية ثقافية تطبع بالقاهرة في اللغة الانجليزية باسم : «بوليتان»

ــ اي النشرة او البيان والتقرير ــ تتعاون على اصدارها « جمعية اساتذة اللغة الانجليزية بمصر » ، ويراس احمد خاكي تحريرها ، وينشر بها مدرسو ومفتشسو اللغة الانجليزية المصريون ابحاثهم ، ويعرضون تجاربهم وآراءهم .. وكان مما نشره خاكي في لغة انجليزية بليغة رائعة ، (في عامي ١٩٥٧ و ١٩٥٨) مقالات عن :الجمهورية العربية المتحدة .. والعدالة في الاسلام .. وتحليل مسرحية « كرايتون » لباري .. وفي عام ١٩٦٠ :الوطنية الحديثة واصل الازمة بين الشرق والغرب .. والشعر كتجربة .. واقصوصة بعنوان : « السيد قايين » .. كما نشر بها عام ١٩٦١ محاضرة القاها بكلية النصر عن : الطفل الصعب الارضاء .. وحواء ملتون في فردوسه المفقود .. وغيرها من المقالات .

وكان قد عين مديرا لكلية النصر بالقاهرة فيما بين ١٩٥٨ ــ ١٩٦١ ــ وكانت هذه الكلية القديمة انشاها الانجليز واستقلوا بادارتها ونظمها ــ ففاقت في عهدها العربي ما كانت عليه في عهدها السابق .

وواصل خاكي جهوده التجديدية عندما انتقل مديرا عاما لمنطقة جنوبي القاهرة (١٩٦٢ ــ ١٩٦٤) .. فمديرا للتعليم ووكيلا للوزارة بالاسكندرية (١٩٦٤ ــ ١٩٦٦) .. فوكيلا لوزارة التربية والتعليم بالقاهرة منذ صيف ١٩٦٦ ولم يزل العامل في صمت واخلاص ، المتمتع في كل مكان بالتقدير والمحبة والثقة .. وكاد يهده الجهد والجهاد وهو يفني قواه في مسئولية الكفاح وتحمل الاعباء مدة ٣٧ سنة .

وبدأ احمد خاكي حياته الادبية منذ حداثته طالبا بالمدارس الثانوية ، فكان ينشر بمجلة « النيل » الاسبوعية ترجمات لروايات : « برستر جون » و « جون باكستان » وقصص ملخصة عن تمثيليات شكسبير .. ولما عاد من بعثته بانجلترا عام ١٩٣٣ نشر في الاهرام ، والسياسة الاسبوعية عددا من المقالات والصور الاجتماعية .

وحدث ان اقيمت في شهر ابريل ١٩٣٥ مسابقة حكومية بين الكتاب في عشر موضوعات ادبية واجتماعية يختار كل كاتب واحدا منها او اكثر ، وعينت لها كبار المحكمين .. وكان بينها بحث عن « رسالة الازهر في القرن العشرين » اشرف على الحكم فيها المرحومون الاساتذة الشيخ المراغي ، والشيخ عبدالمجيد سليم ،وامين الخولي ، وعبدالعزيز فهمي .. واشترك احمد خاكي في هذه المسابقة واختار موضوع رسالة الازهر ، وفاز بالجائزة الاولى ، وطبع بحثه عام ١٩٣٦ .

ثم راح ينشر المقالات في مجلات : « الثقافة » و « الرسالة » ، و « العلوم » ــ وكانت هذه الاخيرة يصدرها خريجو المعلمين ــ (وذلك في السنوات ١٩٣٨ ــ ١٩٤٤) وبلغ ما نشره في تلك الفترة نحو خمسين مقالة في شتى الابحاث الادبية ، والاجتماعية ، والتاريخية ، والتربوية، ومنها على سبيل المثال مقالته عن « العقيدة الشعرية » (في الرسالة ١٩٣٨) و « الشعر عند ارسطو » (في الثقافة ١٩٤١) .. وكانت تلك الاعوام من اخصب سني حياته انتاجا .. ولم تجمع هذه المقالات العربية ولا ابحاثه الانجليزية في كتب بعد ..

وفي خلال نظارته لمدرسة بورسعيد الثانوية ، اهتم بمسالة قناة السويس وترجم كتاب «سكونفيلد» عن القناة ، وطبعته « لجنة التاليف والترجمة والنشر » عام ١٩٤٥ وكان عضوا في هذه اللجنة .

وفي ذلك العام (١٩٤٥) ظهر كتابه عن « قاسم امين » (في سلسلة اعلام الاسلام) ولم يزل هذا الكتاب القيم مرجعا لكل من يكتب عن صاحب «تحرير المراة» قاسم امين ..

وفي عام ١٩٤٥ ايضا نشر كتابه التاريخي عن «المراة في مختلف العصور » وكان قد عهد اليه بكتابة بحث عن شعر شكسبير ــ ضم الى كتاب « شكسبير » الذي صدر في ابريل ١٩٤٤ (في سلسلة اقرا) واشترك معه في تاليفه فريد ابو حديد ، والدكتور زكي نجيب محمود..

وعندما رجع الى وطنه من واشنطن عام ١٩٥٥ بادر الى وضع كتاب عن : « فلسفة القومية » طبع عام ١٩٥٨ بالقاهرة (في سلسلة اخترنا لك) .. كما وضع في سلسلة اخترنا للطالب) ثلاثة كتيبات « خلقنا القومي » و « تاريخنا القومي » يناير ١٩٦٢ و « الاستعمار والكفاح المقدس » ..

هذا الى ما كان يكلف به من مراجعة وتقديم لبعض الكتب التي تطبعها دور النشر وكان منها كتاب : « آسيا والسيطرة الغربية » المترجم عن « بني كار » ، ومسرحية « الابن الاكبر » لبرناردشو ..

واحدث مؤلفات خاكي واكبرها ، كتابه الجديد : « برناردشو ــ تاريخ حياته الفكري » طبع بالاسكندرية في سبتمبر ١٩٦٥ .

وهذا المؤلف الكبير ثمرة الدراسة الطويلة لكل ما كتب برناردشو من مسرحيات ومقالات وقصص ونقدات ، وما كان يقدم به بعض مسرحياته من مقالات تحليلية مسهبة ، وقد اربت مؤلفاته على السبعين كتابا ، كما انه ثمرة التعمق والمقارنة بين ما صنفه الكتاب والنقاد عن هذا الكاتب الكبير .

ويقول احمد خاكي في مقدمة كتابه عن «برناردشو»: « .. ولسنا نعلم حين بدانا كتابة هذا الكتاب ،كيف استطعنا ان نخوض هذه الكتب جميعا . فقد كان من العسير على كاتب ان ينتقي عناصر كتابه من هذا الخضم اللجب من كتابة وادب . فكتابة تاريخ لبرناردشو لم تكن يسيرة كما ظننا في مبدأ الامر دون الوفرة الغامرة من النقد الذي كتبه او كتب عنه ، وطول السنين التي انتج فيها ، وتنوع الموضوعات التي تناولها ، والقراءات الوافرة الفياضة التي استغرقت مبادئه ومذاهبه ، والصداقات او الخصومات التي تعرض لها : كل هذه كانت مسرحا يزخر بانواع الادب . وكان على مؤلف الكتاب ان يتخير منه ما يلائم مزاجه . ولذلك فقد تساءلنا عند اول فكرة لتاليف هذا الكتاب : ما الغرض من كتاب عن برناردشو

يؤلف باللغة العربية ؟ »

ويجيب المؤلف عن هذا السؤال الذي بنى كتابه على جوابه :

« .. بنفس اسلوب برناردشو المنطقي وجدنا اننا لسنا في حاجة الى قصص عن سخرياته او فكاهاته ، ولا نحن في حاجة الى تاريخ مفصل يسرد الاحداث التي مر بها في السنوات الخمس والتسعين التي عاشها على ظهر الارض ، انما نحن في حاجة الى تاريخ فكري ،يتتبع افكاره وآراءه منذ قراءاته الاولى ، ويتأثر بهذه الافكار والآراء عند نضجه بعد الاربعين ، ثم يصاحبها مرة اخرى وهي تخرج في مسرحياته وكتبه بعد النضج . فاذا حسبنا ان برناردشو كان رجلا من اهل الفن المسرحي ، فان فنه المسرحي لم يكن الا تعبيرا عن آرائه . وعلى هذا الاساس كتبنا عن تاريخ حياته الفكري ، وذلك يكون الباب الاول من هذا الكتاب ، ثم كتبنا عن آرائه وافكاره ومذاهبه ، وهذا يكون الباب الثاني من هذا الكتاب .. »

وهكذا استعرض المؤلف حياة برناردشو الفكرية ، وشرح آراءه ومذهبه في اكثر من اربعمائة صفحة كبيرة، وكشف عن المؤثرات التي بلورت عقله .. فتحدث عن مولده بايرلندا عام ١٨٥٦ . وعن السنوات التسع العجاف التي عاشها في لندن شابا في العشرين ، واشتغاله بالنقد في الصحف .. وجهاده منذ الثلاثين من عمره في نشر مبادىء «الجمعية الفابية» التي كان من انشط اعضائها.. ومغامرته في الكتابة المسرحية بعد دراسته لمسرحيات هنريك ابسن .. ومعالجته لمسرحيات الفكر التي اصبح بها الكاتب المسرحي العالمي الذي تؤلف عنه عشرات الكتب في الشرق والغرب .

وفي الباب الثاني من هذا الكتاب ، تتبع خاكي التطور الفكري لبرناردشو في عشرة فصول : المفكر المحترف ، ونضج المفكر المحترف ، وناقد المجتمع ، وفنه المسرحي ، وقراءاته في العلم ، وآراؤه الاقتصادية والسياسية والدينية ، وقوة الحياة ، وفلسفة برناردشو.

وختم المؤلف كتابه هذا باسماء مؤلفات برناردشو في نصها الانجليزي وتاريخ صدورها وهي ما بين تمثيلية ، وقصة ، وكتاب سياسي ، واقتصادي ، ونقدي ، وترجمة لحياة فنان ، كيما يرجع اليها من شاء الدرس والتاليف.

ولم يفت المؤلف العربي وقد تحدث عن دعوة برناردشو الى السلام العالمي ونبذ الحروب ، وكراهيته للاستعمار والغزوات وتكوين الامبراطوريات ، ان يتحدث عن عطفه على القضايا العربية وبينها القضية المصرية ، وان يقص كيف وقعت في يد برناردشو ورقة برلمانية سجلت فيها المناقشات التي دارت في يوم من عام ١٩٠٦ بين وزير الخارجية الانجليزية سير ادوارد جراي وبين اعضاء « مجلس العموم » حول قضية دنشواي ، وكان اعضاء هذا المجلس «يناقشون مسالة العفو عن المصريين المتهمين في تلك القضية ، لكن المجلس لم ياخذ بالعفو ، ونفذ الحكم بالاعدام شنقا ، وبالجلد بالسياط ، وكان لهذا الحكم صدى تنزى له الضمير العالمي ، واطاح بحكم كرومر، واشتدت به الوطنية المصرية ، وبزغت من حيث اريد لها الافول..»ومن كلام برناردشو في هذه القضية المشهورة كما ترجم احمد خاكي :

« ينبغي علي ان انتهي من هذه الورقة البرلمانية .. فقد اقتبست منها ما كفاني لأرسم هذه الصورة ـ صورة المحاكمة في دنشواي ـ وان اقدم تحذيرا قويا الى انجلترا في هذا الصدد ، فاذا كان حكم دنشواي في سنة ١٩٠٦ هو حكم الامبراطورية لهذا العالم واخشى ان يكون كذلك في راي الطبقة العسكرية الارستقراطية ومن تبعهم من السراة المتزمتين ، اقول اذا كان هذا مثالا لحكم الامبراطورية ، فليس في العالم واجب اكثر قداسة ، ولا ادعى الى التنفيذ من الناحية السياسية ، من ان تمحق هذه الامبراطورية وتحيق بها الهزيمة والقهر ، وان ينيب مؤيدوها الى انسانيتهم ، فيتخذوا منها دروسا قاسية ، ويتبينوا في النهاية اي حقد تثيره مثل هذه النظم التي تزرع المقت في القلوب . اجل ! لن يكون ذلك الا اذا تسامت ارادتهم الانسانية فاستروحت نفحة من قداسة الله جل جلاله ! .. »

ثم يمضي برناردشو : « وعلى اية حال فليس لانجليزي ان يدعي انه جدير بأن يحكم بلادي او بلاده . ليس له ان يدعي ذلك ما دام انه قد رضي بأن يترك عبد النبي وجاره ابن العشرين لحكم الاشغال الشاقة المؤبدة، وما دام انه يفخر بهذه السلطة التي اتاحت له ذلك . وليست المسئولية قاصرة على المحكمة ولا على موظفي الاحتلال من ضعاف الخلق ، لقد احيط مجلس العموم بجلية الامر قبل ان يقع ، وكانت امامه فسحة من اربع وعشرين ساعة يراجع فيها نفسه ، وكانت تحت يد سير ادوارد جراي برقية يستطيع المجلس استنادا عليها ان يعلن ان انجلترا دولة متمدنة ، وانها لن تتحمل هذا الجلد الهمجي ، ولا هذا الشنق الذي يحمل معنى التشفي والانتقام ... »

غير ان الساسة الانجليز المتشبثين بمبادىء الاستعمار وبقوة «الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس»، لم يكونوا يوما على استعداد لسماع تحذيرات مفكريهم الاحرار امثال برناردشو ، وه.ج.ولز ، وبرتراند راسل.

ولا شك ان هذه الدراسة المستفيضة التي اخرجها احمد خاكي عن رجل السلام والحق والعدل ـ برناردشو ـ لقراء العربية ، سوف تصبح مرجعا اصيلا لمن اراد التعمق في مبادىء هذا الكاتب وتاريخه الفكري ، كما امسى من قبل كتابه عن « قاسم امين » داعية تحرير المراة الشرقية مرجعا للباحثين .. واما مقالات احمد خاكي وابحاثه ومحاضراته وتقاريره التي ما زال اكثرها مشتتا في الصحف والمجلات ولم تجمع بعد ، فانها ستعود بالنفع الكثير على قرائها لانها بقلم كاتب واسع الاطلاع ، غزير الثقافة ، متحرر الفكر ..

الاسكندرية — **نقولا يوسف**

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

محمد أديب العامري

بقلم البدوي الملثم

* * *

ما جلست يوما الى محمد أديب العامري نستعرض جوانب الحياة ونخوض عبابها الا ولمعت في خاطري عبارة قالها العلامة الانكليزي الدكتور جونسون في الشاعر الانكليزي غولد سميث (١٧٣٠ ـ ١٧٧٤) هي : « ما لمس شيئا الا وزاده رونقا وبهاء ! » .

وما جلست يوما الى محمد اديب العامري نتحدث في امراض امتنا واسباب تأخرها الا واقبل علي بعقل نير وحديث متزن ، رتيب النبرات ، انيق العبارات يمتلىء علما ووضوحا واملا .

وان اصدق ما ينطبق على العامري القول القديم المأثور : « لك عينان اثنتان ، وليس لك الا فم واحد ، فلك ان تنظر الى كل شيء ، ولك ان تصغي الى كل شيء ، ولكن عليك الا تقول ربع ما ترى وتسمع ! »

وليس لكاتب مهما كان طويل الباع ، سيال اليراع ، ان يخرج بحديثه عن العامري صائبا موفقا ، ما لم يكن لامعا موهوبا كالجاحظ وابن المقفع .

والعامري اذا امسك القلم وصبه على القرطاس استقام العقل ، وصال المنطق ، اذ لا تجد مكانة للكلمة الناشزة او ثغرة للعبارة القلقة فيما يكتب ويصور قلمه! . وانى للكلمة الناشزة ان تشق طريقها الى ما يسخو به هذا القلم القوي من معنى ومتانة وقد خلق صاحبه كاتبا اصيلا جمع بين العلم والادب والمنطق والفن ، وتمكن من قواعد اللغة تمكنا جعل منه ثقة بين ثقاتها. والقراءة عند العامري فن قائم بذاته ، ولهذا نراه يقرأ كثيرا .. ويتكلم قليلا .. وتتناول قراءته اكثر نواحي المعرفة .

واذا كان « الاسلوب هو الرجل » كما يقول «بوفون» او اذا كان « عقل المرء في قلمه » كما يقول « ابن المقفع » كان « العامري » كبيرا في عقله ، اصيلا في كتاباته وآرائه وتلاوينه واخيلته !

ذكر لي لدات « العامري » في يافا ، مسقط رأسه ، انه كان « دودة كتب ! » كما يقول الاميركيون في امثالهم هادىء النفس ، نزر الكلام ، مصغيا الى محدثه ، متمهلا في سرده ، ثائرا على الفوضى ، صيرفيا يزن كل لفظة ينطق بها ! وظل هذا ديدنه وشعاره في كافة مراحل عمره ، ووجد في « نيكولي » عميد الجامعة الاميركية ببيروت « مثله الاعلى » فاخذ عنه قوة الشخصية واحترام النظام وانجاز عمل كل يوم بيومه ، منشدا نفسه قول « ابي الطيب » :

ولم ار في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام !

وقد نهل العامري العلم في مدرسة يافا الثانوية ثم شخص منها الى الجامعة الاميركية في بيروت سنة١٩٢٥ وكان في يافا آنئذ من شباب البلد العاملين في الشؤون الطلابية والسياسية والاجتماعية . وقد اسس مع مجموعة فاضلة من المواطنين (نادي الطلبة) الذي انشأ فرعا لمؤتمر الطلبة العربي العام المنعقد في بيروت سنة ١٩٢٥ ، وانتخب العامري مندوب الشباب اليافي اليه ، وكان هذا النادي موئلا لحركة اجتماعية وادبية وسياسية اتخذت قاعة النادي وندوة المكتبة الاسلامية بيافا مستقرا لها . وكان شباب هذه الحركة الذين كانوا يدعون « حملةالفكرة الاستقلالية » نواة لدعم العمل السياسي الذي كانت تقوم به الجمعية الاسلامية المسيحية بيافا آنذاك والمجلس الاسلامي الاعلى وغيرهما من الهيئات السياسية والاجتماعية . والواقع ان هذه الكتلة من الشباب كانت تؤجج نار الحقد على الاستعمار البريطاني والصهيونية بتنظيم المظاهرات والمحاضرات والقيام بالرحلات الدعائية ضد الهجرة الصهيونية الى فلسطين وبيع الاراضي للصهيونيين . وكان اكثر اعضائها عرضة للنفي والسجن والاضطهاد حتى ان منهم من حمل على العمل في غير بلده . وفي سنة ١٩٢٦ انعقد في يافا مؤتمر الطلبة الفلسطيني الذي امته وفود من سائر انحاء البلاد وترأسه السيد العامري . وكان ممن حضر ذلك المؤتمر السادة ابراهيم الشنطي وسعيد علاءالدين ومحمد علي الصالح والمرحوم احمد سعيد ديب ومحمد نمر عودة والمرحوم حسن خلقي الدجاني وجميل سعيد ونمر المصري وغيرهم. وفي اثناء انعقاده اصدرت السلطات البريطانية اوامر باعتقال بعض اعضاء المؤتمر . وفي ثورة ١٩٢٩ المشهورة صدر امر باعتقال السيد العامري فلجأ الى الاردن .

وفي الجامعة الاميركية شارك العامري في حركات الطلاب السياسية والاجتماعية ،وكان عضوا في جمعية « العروة الوثقى » و « اتحاد الطلبة » داخل الجامعة ، وعضوا في النادي الفلسطيني خارجها ، اذ لم تكن الجامعة تأذن لهذا النادي بالاجتماع ضمن حرمها. وفي سنة ١٩٢٧ عصفت بالنادي الفلسطيني ريح الحزبية العنيفة ولم يستطع النادي لشدة التنافس بين فئاته واعضائه ان ينتخب رئيسا له ، فأجمع اعضاء النادي على اختيار العامري رئيسا له لما عهد فيه من تجرد في الراي واستقلال في الفكر عن سائر الاحزاب المتناحرة في فلسطين في تلك الفترة.

وقد استمرت مشاركة العامري في الشؤون العامة بعد تخرجه من الجامعة ، ولكنها كانت مشاركة ضيقة حد من نطاقها فيما اعتقد ما حد من انتاجه العلمي والادبي

كما سيجيء تبيانه فيما بعد ، وفي عدد من الندوات العلمية والثقافية التي عقدت في عمان والقدس وفي دار الاذاعة الاردنية ، وفي المؤتمرات القومية التي تنادى الفلسطينيون لعقدها في القاهرة وغزة وبيت المقدس كان « العامري » في طليعة من يدعى لها ، وكان للآراء التي يبديها ، وللحلول التي يقترحها ، اثرها الفعال في نفوس مواطنيه ، اذ انها صادرة عن عقل نير المسالك ، ورأي مجرد مشرق الجنبات ، يزن النتائج والمقدمات !

وقد تخصص العامري في دراسته الجامعية في علم الحياة والكيميا . ويعلل تخصصه في علم الحياة بشغفه بالشؤون الانسانية من اجتماع وسياسة ولغة ، لان فروع العلوم الطبيعية في الجامعة الاميركية ببيروت كانت اقوى من الفروع الاخرى . فنال بتخصصه من الجامعة احسن نصيب ليشخص من بعد الى مصر فاوروبا ليتوسع في دراسة هذه العلوم الانسانية على اسس علمية طبيعية ، غير ان الحظ خانه اذ لحق جده الذي كان ينفق عليه وهو في السنة الاخيرة من دراسته الجامعية بربه ، فاضطر للعمل ، وكان نصيبه من الموارد التي كان جده قد تركها لا يكفي للانفاق على مزيد من الدراسة وعلى القيام بأود عائلة كان قد خلفها والده الذي توفي قبل جده .

وفي عام ١٩٣٠ نال « العامري » شهادته من الجامعة الاميركية ببيروت ، وهربا من جو خانق كان يسود فلسطين في عهد الانتداب عمل في معارف الاردن فعين استاذا للعلوم الطبيعية في ثانوية السلط فمديرا لها وما لبث ان نقل مفتشا للعلوم في وزارة المعارف . وظلت علاقته بشؤون المعارف والثقافة متصلة حتى اصبح سنة ١٩٥٢ وكيلا لوزارة التربية والتعليم في المملكة الاردنية .

وبعد ان ادى رسالته الثقافية على احسن وجه وغذى مختلف المناصب والمسالك بالعديد من رجالها النابهين الطموحين ، استقال من الجهاز الحكومي الاردني وعين مساعدا لدار الاذاعة الفلسطينية في القدس ، في عهد الانتداب على فلسطين ، ودرس الحقوق في معهد الحقوق الفلسطيني ونال منه دبلوم الحقوق ، فاشبع بذلك شيئا من رغبته في الدراسات الاجتماعات والانسانية .

وعند حلول النكبة المروعة عين مديرا للاذاعة الاردنية وممثلا للاردن في لجنة الهدنة الدولية ، وهنا عرض عليه المسؤولون مركز رئيس وزراء حكومة عدن لكنه آثر البقاء في موطنه والعمل فيه .

وفي عام ١٩٥٠ نقل سكرتيرا عاما لوزارة الخارجية الاردنية . وفي عام ١٩٥١ اختاره المسؤولون مديرا عاما لدائرة الاستيراد والتصدير . وفي عام ١٩٥٢ نقل وكيلا لوزارة المعارف كما اشرنا . وبعد عام عين وكيلا لوزارة الانشاء والتعمير . وفي عام ١٩٥٥ انشىء « ديوان الموظفين » فاختير رئيسا له برتبة وزير دولة . وفي عام ١٩٦٥ عين رئيسا لديوان المحاسبة بالرتبة نفسها . وفي

البدوي الملثم

•

سنة ١٩٥٨ اعتقل العامري ستة اشهر في معتقل «الجفر» بالاردن بامر من رئيس الوزراء آنذاك لاسباب يتعذر سردها في هذه الكلمة .

وفي سائر المراكز الكبرى التي اسندت الى «العامري» كان مضرب المثل في حسن الادارة والحزم وتصريف الامور والاخلاص والامانة . والواقع ان عددا من هذه المراكز انما عهد به للعامري بغية تأسيسه على قواعد سليمة او السير في عمله الحساس باستقامة ونزاهة ، مثل دائرة الاستيراد والتصدير ووكالة وزارة الانشاء والتعمير ورئاسة ديوان الموظفين .

ولعل خدمته في المعارف كانت ابرز خدماته . ولا يطلق في المجال العلمي والثقافي في المملكة الاردنية لقب « استاذ الجيل » على رجل ممن اشتغلوا بالتعليم اكثر من الاستاذ العامري ، اذ انه وقد ادار اكبر معهد علمي في الاردن يومئذ ، وهو مدرسة السلط الثانوية ، فقد تخرج على يديه عدد كبير ممن اصبحوا قادة البلاد بعدئذ ، فبلغوا مناصب الوزارة ورئاستها ورئاسة الاركان وقيادة الجيش ، مفاخرين دائما ودون تحفظ بانهم تتلمذوا على العامري وقبسوا منه فكره واسلوبه فادى ذلك الى نجاحهم ونبوغهم .

والعامري كاتب مطبوع ، فقد بدأ النشر في الصحف وسنه سبعة عشر عاما ، تارة في الصحف اليومية واخرى في الصحف الاسبوعية التي تصدر في فلسطين ، مثل جريدة « الصراط المستقيم » وجريدة « الجامعة العربية » ومجلة « الفجر » وغيرها . ثم انتقل الى الكتابة في المجلات الكبرى «كالسياسة الاسبوعية» و « الرسالة » و « الثقافة » و « المقتطف » في مصر وغيرها . وهو ما يزال يكتب في مثل هذه المجلات « كالاديب » البيروتية والمجلات الاردنية . ويكتب احيانا باللغة الانجليزية في بعض المجلات الاجنبية .

ويميل العامري في كتاباته الى الطابع العلمي . وانتاجه وادبه يتسمان بهذا الطابع الذي يرتكز عليه . وتفكيره اقرب الى التفكير الاوروبي الموجز المركز الذي يجد فيه القارىء العربي العادي شيئا من الصعوبة . وينزع في رايه الى فكرة التطور في سائر الشؤون المادية والحيوية والاجتماعية . وهو مولع بالفكر العربي القديم وادبه لكنه لا يعول عليه كثيرا فيما يكتب .

وللعامري فلسفة خاصة في الحياة ، **فهو يؤمن بان** الكون تطور دائم من الجماد الى الحي وان الحياة كالكائن النامي لها هدف ايجابي تنزع اليه . **ويؤمن بأن التطور** ينتهي في نتيجة خطواته بحركة الى الامام ، وان جوهر حياة الانسان وقد جاء الى هذه الارض هو العمل ـ العمل الدائب الى آخر العمر . ونزعته الاجتماعية تشمل محبة العائلة والامة والانسانية جمعاء .

وآفة العامري انه مقل فيما يكتب . ومع ان الكتابة عنده قمة العمل المفيد السعيد ، الا ان عمله كمسؤول في جميع الوظائف التي شغلها ، وطبعه في الانصراف الى عمله بكليته ، قد حرمه وحرم قراءه من ان يكون اكثر انتاجا وابعد شهرة . ولذلك فقد طبع انتاجه النزربالعمل الذي يقوم به . فعدا المقالات العديدة التي تطرق نواحي الثقافة المختلفة وتمثل رايه احسن تمثيل ، والتي لو جمعت لملأت مجلدين او ثلاثة ، فقد الف وهو في وزارة التربية كتبا للطلاب في العلوم الطبيعية واخرج وهو في الاذاعة مجموعة من القصص القصيرة ، والف وهو في المراكز الادارية الاخرى كتابا في الشؤون الادارية .

ولذا لو اتيح للعامري ان يتحرر من المهام الرسمية والمسؤوليات الحكومية ويشرع قلمه لكسبت الخزانة العربية في شتى الوانها وفروعها الشيء الكثير من هذا القلم ، ودونك بعض آثاره :

(١) حفظ الصحة (جزآن) طبع عام ١٩٣٥ .
(٢) مبادىء العلوم العامة طبع عام ١٩٥٦ .
(٣) عائلات النبات طبع عام ١٩٦٠ .
(٤) شعاع النور طبع عام ١٩٥٣ (وهو مجموعة قصص موضوعة ومترجمة) .
(٥) الحياة والشباب ـ حول قيمة الحياة واطالة العمر ، ترجمة وتحرير (معد للطبع) .
(٦) اصول العمل الاداري (معد للطبع) .

نموذج من نثره : ودونك نموذجا من نثره وقد نشر بعنوان «هدف الحياة» وهو يتناول علاقة المادة بالحياة وبالفكر :

« ليست المادة اصلا من الناحية العضوية فحسب ، ولكنها اصل من الناحية الفكرية كذلك ، فليس الفكر هو الذي يخلق المادة ، ولكن هذه المادة الجامدة هي التي تخلق هذا الفكر العالي السامي . ان العالم بطبيعته مادي ، وان مظاهر العالم المتنوعة انما تؤلف اشكالا مختلفة ومتحركة من المادة ، وان هذه المظاهر يعتمد بعضها على بعض ، وهي قانون هذا العالم الذي يتطورويتحرك. وبلغة هيرا كليتوس اليوناني القديم : « ان العالم يتالف من اجزاء موحدة ، ولقد كان وسيظل شعلة حية تلتهب بنظام وتندثر بنظام » .

فاذا صح ذلك كان العقل الانساني استمراراللطبيعة والحياة ، والفكر الناجم عنه انما يرتكز على المادة التي انجبته وانجبت الحياة ، ذلك لان المخ مادة والفكر وليد المخ كما ان اللهب وليد الحطب . ولهذا لا تستطيع ان تفصل الفكر عن المادة لانك لا تستطيع ان تفصل الفكر عن الدماغ.

وما اظن اننا نستطيع ان نعارض هذا او ننكره .ان الفكر عمل من اعمال الدماغ كما ان الهضم عمل من اعمال المعدة . وهذا قول مفيد للذين يفتشون عن الحقائق خارج انفسهم وخارج ما حولهم والذين يضفون على المعرفة هالة غامضة مصطنعة .

وليست هذه الفكرة بسيطة ، لانها حين تنقل الى تفكيرنا الاجتماعي تكون ذات اثر بعيد ، فاذا كانت هذه الاجزاء متصلة الحلقات وكانت الحياة متحركة لا ثابتة ، وكانت تندفع الى الامام لا ترجع الى الخلف ، وكان ذلك ملازما لطبيعة العقل كذلك ، فلا بد اذن ان يتطور الفكر الى الامام لا الى الوراء » .

وقال في مقدمة كتابه « شعاع النور » يصف تطور الحياة الى الافضل على الرغم من مخاض التعب والشقاء:

« ان الحياة كما درجت الى اليوم يمثلها اشخاص هذه الاقاصيص اكثر مما يمثلها اي شيء آخر ، وهؤلاء في الغالب قد انحدروا الى مستوى موئس من الحياة ، ولكنهم لا ييأسون ، فان هنالك شعاعا من النور ينظم سيرة الحياة منذ كانت ، وهذا الشعاع ذاته هو الذي يومض في نفوس هؤلاء الناس الذين اقدمهم لك واصلهم بك ، فيحملهم على الصبر والامل والنضال ورفع مستوى الحياة شيئا فشيئا .

ولولا هذا الوميض الذي يستمد نوره وحرارته من طبيعة الحياة الخالدة المتسامية لما كان سبيل هؤلاءالناس الا ان يتلاشوا في العدم .ولكنهم لا يتلاشون ، بل يستمرون فتطرد الحياة بجهدهم نموا ورقيا الى ان تصبح جديرة بحياة الناس » .

وجاء في مقال له نشر بعنوان « الانسان المثقف » وصلة الثقافة الصحيحة بالحق والخلق :

« والمثقف بطبيعة الحال رجل فرغ من انانيته فقضى عليها اكبر القضاء وبرئت نفسه من شوائب الضغينة والحقد والتكالب المادي ، وتخلص كيانه من هذا كله الى نفس صافية وخلق عال واعراض عن سفاسف الامور .

وهو رجل يؤمن بالفضائل جملة ـ فهو يرى ما بينها وبين التركيب الصحيح لامة من اسباب وصلات . ويدرك ان البناء الموطد الشامخ لمجتمع لا يمكن ان يقوم على صفات

مغارة جعيتا

* * *

تبارك مـن بنى هـذي القبابا ... وشـد الـى منازلهـا الهضابا
وشيـد صرحهـا دارا فـدارا ... ورصـع قوسها قابـا فقابـا
وصاغ دمـوع صخرتها حليـا ... والبسهـا التماثيـل العجابـا
جعيتـا مـا رآت عيناي سحرا ... كسحرك لا ولا القلب استطابا
فما من جنة في الارض اشهى ... ومـا مـن كوثـر أصفى شرابا
فحيـث نظرت جارية وكـاس ... وشـاد يرسل الشكوى عتابـا
هنـا اسـراب طير هاتفات ... وابـراج تلفعـت الضبابـا
هنـا عشـاق ليـل نابغـي ... تعشـر انجمـا وكبـا شهابا
هنـا عذراء تحلم بالدراري ... تلـف علـى غدائرهـا السحابا
هنـا الثقـلان مـن انس وجن ... يحشـون المزاهـر والربابـا
واصحاب الرقيم وثم كلب (1) ... يوصوص راصدا للكهف بابـا
اضاؤوا فـي مدارجـه شموعا ... وارخـى الليـل دونهم حجابا
مشاهد مـن رؤى حلـم جميل ... تمثـل جنـة وزكـا رغابـا
لأنـت الارز قلبـا واتسـاعـا ... حـوى الدنيا وجاوزها انتسابا

(1) اشارة الى نهر الكلب الذي ينبع من جعيتا .

وديع ديـب

التداعي والفوضى والانحلال الخلقي العام .

والمثقف كما قال الدوس هكسلي « رجل يخضـع اعصابه لارادته ويحكم عقله في عواطفه ، فلا يجيش ولا يطيش ولا ينفجر ، وان غضب لشيء فانه يغضب للحق » .

فالانسان المثقف اذا اردنا الاجمال ، انسان ذو المام بجملةالمعارف العامة ، وصاحب نظر علمي الى المسائل ، ورجل مبدأ في الحياة يقوم على فكرة اصيلة من الحق» .

وقال من قصة بعنوان « صوم دائم » يصف السعادة التي تغمر عائلة بسيطة على الرغم من فقرها وحاجتها :

« اقترب عطاالله من زوجته والتصق بها وضمها اليـه ثم اخذ ينشج بالبكاء ، وقال :

« ان الفقير في هذه الدنيا وحيد . حتى اذا مـات مات وحده » . فاذا غطاء ابنه يتحرك ، واذا ابنه يشخص اليه ويتصبب عرقا ، ويفوه بكلام خافت . انه يطلب ماء . وانفرجت شفتاه عن ابتسامة اشرقت فـي عينـي ابيـه اشراقة الضوء في الظلام الدامس . فمال على ابنهيقبله ، واستانفت نفس عطاالله الحياة . انه سيرى ابنه معافى بعد حين . وسيراه عاملا يجد ليحصـل قـوت العائلـة وسيكون من النشاط والقوة بحيث يوفر لامه واختيه اياما بيضا لم يستطع هو في الاونة الاخيرة ان يوفرها لهن » .

وبعد ان بلغ القلم هذا المطاف الشذي الفوح المعطر الارج نقول كلمة الدكتور جونسون في الشاعر الانكليزي غولد سمث ونحن في صدد الحديث عن العامري الفنـان الاصيل : « ما لمس شيئا الا وزاده رونقا وبهاء ! » .

عمان ــ الاردن ... **البدوي الملثم**

اخوانيات في العروة الوثقى بلندن

بقلم الدكتور فؤاد جبور حداد

من « العروة الوثقى » في لندن

* * *

الاخوانيات هي المبادلات الادبية بين الاصدقاء على نطاق فردي خصوصي كان يقدم احدهم للآخر هدية ويرفقها بابيات شعرية فيشكره عليها الاخر بابيات من نفس الوزن والقافية او ان يدعو صديقه لزيارته ببعض الابيات او يلومه عاتبا لقلة الزيارة وما الى ذلك من المناسبات الاجتماعية الخصوصية ومثل هذه المبادلات لا تكون عادة للنشر ، بل يتداولها الاصدقاء فيما بينهم وان قدر لها ان تنشر فلتعكس نوع العلاقة التي كانت تربط الواحد بالآخر في تلك الجماعة ولتلقي ضوءا على الحالة الاجتماعية فيما بينهم .

لا شك ان الاخوانيات كانت موجودة عند الادباء منذ اقدم العصور ولكنها كثرت بصورة خاصة في القرن الرابع الهجري عندما كثرت مجالس الانس والطرب واخذ الادباء يحضرونها ويصفونها .فهذا الصاحب بن عباد وهو صاحب المجالس الادبية المشهورة يرسل في طلب صديقه ابي الفضل بن شعيب فيكتب له هذه الابيات :

يا ابا الفضل لم تاخرت عنا فاسأنا بحسن عهدك ظنا
كم تمنت نفسي صديقا صدوقا فاذا انت ذلك المتمنى
فبغصن الشباب لما تثنى وبعهد الصبا وان بان منا
كن جوابي اذا قرات كتابي لا تقل للرسول كان وكنا

وهذا ايضا ابو الفتح البستي يدعو صديقا له لحضور جلسة ادبية فيرسل في طلبه بهذه الابيات :

عندي ، فديتك ، سادة احرار وقلوبهم شوقا اليك حرار
وشرابنا شرب العلوم وروضنا نزه الحديث ونقلنا الاشعار
فامنن علينا بالبدار فانما اعمار اوقات السرور قصار

ونحن في لندن جماعة من العرب تربط بيننا وشائج كثيرة لعل اهمها حبنا للادب العربي وحبنا للغة العربية ويربطنا ايضا احساسنا بالغربة وحنيننا الى الوطن ويربطنا ماضينا المشترك وآمالنا لمستقبل باسم لامتنا الحبيبة ، كل هذه الوشائج اجتمعت معا فربطتنا في عروة متينة اسميناها « العروة الوثقى » . وقد وضع الاخ سعيد العيسى شعارا لجمعيتنا في بيتين من الشعر فقال :

اكبرت (عروتكم) يضم نطاقها في دار غربتكم غريب الدار
هي معقل للضاد وهي منارة اكرم بها من معقل ومنار

ولقد حرصت على ان اجمع الاخوانيات التي نتبادلها في «العروة الوثقى » في كراسة خاصة . وعندما استعرضت ما دونته وجدت انه تكونت لدينا مقطوعات من الشعر لا باس بها ونحن كثيرا ما نسترجعها فيما بيننا اثناء جلساتنا الخاصة فنجد فيها معينا لا ينضب من المتعة واللذة الادبية . وقد اخترت منها للنشر ما ارجو ان يكون فيه لغيرنا ايضا شيء من المتعة واللذة الادبية .

ان المناسبات التي تحدث في الغربة هي نفس المناسبات المألوفة مثل الاعياد وميلاد طفل والتخلف عن ميعاد واهداء كتاب وما الى ذلك. ولعل اجمل هدية وصلتني في اعياد ميلادي كلها هذه القصيدة التي اكرمني بها الاخ سعيد العيسى .. فقال :

حنت اليك من الجوانح اضلع الشوق يحفزها وحبك يدفع
عرفت مكانك فاهتدت فكانها نسم ، ومسراك الشذى المتضوع
بالقرب منك نعيمها فاذا نات يوما يلج بها الحنين فتجزع
في عيد مولدك النفوس تهللت فكانه الوسمي وهي البلقع
قد رحت تمحضها الوداد فامرعت كالروض ترفده السماء فيمرع
وطلعت يوم العيد بالبشرى لنا كالبدر من افق البشائر يطلع
متهاديا ، متالقا ، متهللا امل يجيء به وآخر يرجع
هذي قلوب الصحب حولك جمة فاختر ، سلمت ، بايها تتربع
عتب الحبيب علي قلت له اتئد واعذر فمالك في فؤادي مطمع
ملأ الفؤاد هوى «الفؤاد» فلم يعد فيه لاي هوى قديم موضع

وعندما عزمت الآنسة « نهى بطشون » وكانت موظفة في القسم العربي باذاعة لندن ، ان تعود لتستقر في ارض الوطن اقمنا لها حفلة وداعية . وقد استرعى انتباهي انا كلانا من مدينة يافا ولم يتعرف احدنا على الاخر الا في لندن فقلت في تلك المناسبة هذه الابيات :

وهب الزمان وللزمان هبات ان نلتقي في لندن الاشتات
ابناء يافا حقهم ان يلتقوا في ارضهم اذ ارضهم جنات
يا اختنا في غربة طالت بنا لم يبق فينا للجراح أساة
كنت الكريمة والرحيمة بيننا لك في السماء الاجر والصدقات
كم كنت ارجو لو تحقق حلمنا وتلاحمت في « العروة » الحلقات
لكنما الاقدار تقضي غير ما نرجوه منها والمنى ومضات
يا نسمة من ارض يافا عذبة انسام يافا حلوة عطرات
ريحانة في الناس انت وزهرة انفاسها بين الورى عبقات
سيري فعين الله كالئة الخطى لك في الولاء شكيمة وثبات

وقد زارنا مرة في لندن اخي يعقوب وعرف اثناء اقامته القصيرة بيننا ان سعيدا يحب بصورة خاصة فاكهة المانجا وهذه الفاكهة نادرة الوجود في لندن . فعندما رجع الى الكويت ارسل لنا سلة بالطائرة ملأى بالمانجا . وقد بعثت تلك الهدية سرورا عظيما في النفوس.فكتب له سعيد يشكره :

يعقوب من لي بالقريض اصوغ منه حلى الثناء
تلك الهدية جل مهديها ويكفيك الدعاء
من اخوة لك في ديارالغرب محرومي الرجاء
فكهتهم بالطيب المعسول مجلو الرواء
سال اللعاب له اشتهاء عندما رفع الغطاء
لولاه ما احلولى لنا في لندن يوما بقاء
زدنا نزدك من الثناء اخا المروءة والوفاء

وكتبت الى اخي أشكره على هديته بهذه الابيات :

اخجلتنا والله يا يعقوب في ذاك العطاء
انت الحبيب الى القلوب وانت للعين الضياء
ان الهدايا رمز مهديها ورمزكم الوفاء
منك الحلاوة والعذوبة واللطافة والصفاء

وسمعت والدتي « ام يعقوب » بقصة المانجا فسارعت هي ايضا الى ارسال سلة اخرى من هذه الفاكهة النادرة في لندن فادخلت السرور الى القلوب وابتهج الجميع بها وكتب الاخ سعيد العيسى في ذلك هذه الابيات :

قل للعريقة في المعالي ام « اليعاقيب » الغوالي
من كل لؤلؤة عدمت لها نظيرا في اللئالي
انا من حلاوة حبة المانجو لساني اليوم حالي
ويظل طول العام ... حتى موسم للمانجو تالي

واحبت ان اقوم بتشطير هذه الابيات فوجدت شيئا من الصعوبة لان الصدر متصل بالعجز في جميع الابيات الا في البيت الاول فقلت :

(قل للعريقة في المعالي) ان الرفاق بخير حال
قد كلفوني شكرها (ام اليعاقيب الغوالي)

(مـن كـل لؤلؤة عدمـت) نظيرهـا فاسمـع مقالـي
ان لرجـال لنالـيء (مـا مثلهـا بيـن اللثالـي)

(انـا مـن حـلاوة حبة) للمانجـو لا ادري بحالـي
علـى ازاد اذا شكـرت (فهـا لسانـي اليوم حالـي)

(ويظـل طـول العام) يذكـر فضـل توزيـع النـوال
ويظـل يرجـو آمـلا (فـي موسم للمانجو تالي)

ومن المناسبات السعيدة في الغربة سعادتها في ارض الوطن ان يرزق احدنا طفلا . وقد من الله على السيدة سهام كريمة صديقنا حسن الكرمي بطفلة جميلة ولم يكن ثمة بد من قول الشعر في مناسبة سعيدة كهذه فنظم سعيد العيسى قصيدة مخاطبا حسن الكرمي جد الطفلـة :

وافـت تتيـه على الدنيا بطلعتهـا فيرقص القلـب للبشرى لها طربا
حفيـدة ...ولو ان البدر منتسب يومـا لكان اليها البدر منتسبا
ضمت مـن المجد أطرافا مكرمـة وحازت الاكرمين : العلـم والادبا
زكت فروعـا واصلا فهي خالصة كريمـة محتدا ، ميمونة حسبـا
فليهنـك اليوم ان اصبحت عن ثقة جـدا ، وها انذا ما صرت بعد ابا

اما بالنسبة لي فان « سهام » كانت ولا تزال بمثابة الاخت وقد شعرت في تلك المناسبة اني اهنيء اختي باول مولود لها فقد عرفت سهام وهي طفلة صغيرة منذ حوالي عشرين سنة فقلت في ذلك :

اهلا بمقـدم طفلـة (لسهـام) وقرينهـا زيـن الشباب (عصام)
تزجي التهانـي بالوليـد وانـنـا لتهنـيء المولـود بالارحـام
هذي (سهـام) لا تخيب وان أتت بنـت ستتبعهـا غـدا بغـلام
جئنـا يهنـيء بالوليـد لساننـا وبامـه لنيامهـا بسـلام
وقلوبنـا تدعـو لها بسعـادة فـي حرز والدهـا وحرز (سهام)

وقد وصلتني مرة من سعيد قصيدة لم تكن لها مناسبة خاصة ولعل مناسبتها انه احس برغبة في نظمها وهذه للفنان هي اهم المناسبات . والقصيدة اعتبرها من ممتلكاتي التي اعتز بها وافتخر اعظم افتخار ولا ادري ماذا فعلت لاستحقها . وكم يسعدني ان لا يكون قد غير رايه في الموضوع ..قال سعيد :

بوركـت احشـاء ام حملـت للورى ، اذ حملت ، يوما (فؤادا)
اريحـي الكـف سمحـا كلمـا لاح في الافق الندى كـان الجوادا
المعي الفكر ، شهما ، فطنا ،يحفظ العهـد ولا ينسـى الـودادا
ذا بيـان هـو من وحـي الحجى طيـع ممتنـع يأبـى انقيـادا
واذا مـا قـال شعـرا خلتـه قانصـا يصطـاد معنـاه اصطيادا
صيرفـي اللفـظ ، فخـم المحتوى نـاقـدا للشعـر ، لا يرضى الفسادا
واذا ما النـاس ساروا الهيذلـى راح بيـن النـاس تيهـا يتهـادى
محـض الفـساد هـواه كلـه وغـدا مـن مقلـة الفساد السوادا

طمع الصديق حسن الكرمي في يوم من الايام في ديوان من الشعر لاحد الشعراء القدامى كان بمكتبتي وكنت احب الاحتفاظ به . والاخ حسن ونحن نعرفه بيننا بكنيته « ابو زياد » له مكتبة عامرة بامهات الكتب ويغار عليها كثيرا .. واحسست اني جرحته في رفضي طلبه وعز علي ذلك وما كان مني الا ان ارسلت له الديوان في اليوم التالي بالبريد وعليه هـذه الابيـات :

حـب اقتنـاء الكتـب رمـز للكريـم الامجـد
علمتنيهـا خلـة والنـاس فيكـم تقتدي
فـاذا بخلـت عليكـم يومـا لنـا بمجلـد
فالله يعلـم يا أخي ما البخـل كـان بمقصدي
انـي انادي في الورى وعلـى رؤوس الشهـد
انـي الضنيـن بكتبـه (وابو زيـاد) المبتدي
انـت الامـام وشيخنـا وبضـوء علمك نهتـدي

لكنني احببتكـم حبـا يفـوق تجلـدي
فانبئكـم بكتابنـا مستغفـرا يا سيدي

وثمة مناسبات عديدة قيل فيها البيت او البيتان من ذلك عندما مرض حسن الكرمي فذهبنا كلنا نعوده فكتب له سعيد هذه الابيات :

« العروة الوثقى » تئـن وتشتكي مـد قيـل انـك مسهـد تتألـم
ليت الـذي بـك في العواذل كلهم كيما تصح اخا الوفاء ويسقموا
جزعت عليك من الصحاب قلوبهم فاذا بهـا حـول الفراش تحـوم

وقال سعيد ايضا يهنيء الانسة غادة الكريمة الصغرى للاخ حسن الكرمي عندما نالت شهادة الدكتوراه في الطب :

جئت ازجي لـك التهانـي ألفـا علـم الله مـا تهانـي زلفـى
لـك روح مـن النسائـم انقـى وشعـور من ريق الفجـر اصفى
ان تجـي يـد المريـض يـدب البرء فيـه باذن ربـي ويشفـى
واذا الـداء كـان فيـه عضـالا جـاء منـك الدواء لطفا وعطفـا

ان الامر الذي نجده مهما هنا بصورة خاصة هو اننا نحن في الغربة في حاجة ماسة احدنا الى الاخر ويصبح اللقاء المتكرر ضرورة نفسية ملحة يجد الواحد منا فيها راحة واطمئنانا . ولعل اجمل تعبير لهذه الحالة النفسية تلك الابيات التي اكرمني بها الاخ سعيد :

لـم الاق (الفؤاد) منـذ ثـلاث واحنينـي الـى لقـاء الفـؤاد !
ان بينـي وبيـن (جيـن) لثـأرا كـاد يـودي بحرمتـي ووادادي
سلختـه عـن الجوانـح منـي كيف احيا يا (جين) دون فؤاد ؟
انـا فـي وحشـة ومر بـلاء قـد أطـالا عبر الليالـي سهادي
يا لشوقي لضحكـة تفعـم القلب حبـورا كانهـا لحـن شـاد
وحديـث في السمع اشهى صداه مـن رنيـن الاوتـار والاعـواد
وقـواف كانهـا قطـع الروض تـراءى كالوشـي فـي الابـراد
كـل دنياي اقفـرت من خليلـي صنـو روحـي « فؤاد الحداد »
وسابقـى الشقـي حتـى اراه جاءنـي زائـرا علـى ميعـاد

ولا شك ان الاحساس بالوحشة اذا لم ير احدنا الاخر بضعة ايام ينطبق على كل واحد منا بالنسبة للاخر ، واكبر الظن ان هذا الاحساس هو الذي اوجد « العروة الوثقى » اصلا ، اما ما يتضمنه من معاني الولاء والمحبة فهي التي أوحت بهذه الاخوانيات .

لنـدن فؤاد جبور حداد

لم يظهر الضوء بعد

•

لنثمل ، يا صديقي ...
عيناك عميقتان .. كعمق التجربة .. كالامي.
آه ... عيناك ! انني أراه فيهما :
النظرة البوهيمية ذاتها ، البسمة الرعناء ،
اسطورة الربيع اللامبالي ، الليل المجنون ...
فقطتي ... قطتي المتوحشة ... قادتني :
عشت وهم الضوء في الظلام !
لنثمل يا صديقي : ليس الا أنا وانت
نردد سخافات ، مثل الحياة ...
ثم ننسى ما قلناه ... لتتمتم لي من جديد
وبانتصار الجزار : لم يظهر الضوء بعد !
لاعيد بآلية : لم يظهر الضوء بعد !

حلـب هناء طيبي

الكوب على الطاولة .. بماذا افكر ؟ الدواء ايضا على الطاولة .. هذا زجاج ومن ورائه لا يبدو اي شيء لان الظلام مخيم في الخارج ،الوقت من ذهب ، لا افهم معنى هذه الجملة بشكل محسوس . اعرف ان الوقت يمر الآن لكني لا استطيع أن احل المشكلة . او ان افعل شيئا . اذا كانت ستموت فما استطيعه ؟ لما لا تطلبين الدكتور ؟وما فائدته ؟ هذا خداع .

لكنك تودين لو ماتت سريعا .. انا .. ابدا ؟ المنشفة تنكمش بين أصابعي فانظر اليها واتذكر المشاهد التمثيلية السينمائية .. هذا تمثيل .. يجب ان اشد على المنشفة اكثر ومن ثم اضرب بيدي الطاولة ثم اضع راسي بين يدي لأظهر اني جد قلقة وان لدي صراعا نفسيا حادا . لا احد يشاهدني وهل امثل على نفسي ؟ اذا يجب ان تحرك اصابعي المنشفة .. افلتها من يدي ببطء ثم نهضت عن الكرسي ، انني اود البكاء .. الصقت انفي بزجاج النافذة ووضعت يدي حول وجهي كي ارى ما يجري خارجا .. لا شيء ، فالبلدة نا[illegible] الجبال بعيدة لها الف عين ، الجو ساكن الا ان القمر الخبيث يبدو كلص وراء الغيمة لكن لو ماتت لقلت لنفسي فيما بعد انني السبب لا لن اتحمل ذلك فلتمت ولكن ليس عن طريقي ، فلتمت بين يدي الطبيب على الاقل ، فانا لست بطبيبة ولن الوم نفسي اذا ماتت .

فتحت باب غرفتي بصمت ،عبرت الصالون على رؤوس اصابعي . توقفت امام باب غرفتها .. لم اسمع شيئا ، الا اني كنت ارى النور ينبعث من تحت الباب ، انحنيت نحو الثقب ونظرت .. عدت سريعا الى غرفتي وانا الهث لقد كانت تنظر الي يا الهي انها رهيبة .. كانت تجلس في السرير ، المسند وراء ظهرها ، وجهها اصفر شاحب ، عيناها متحجرتان على ثقب الباب .. انها لن تموت .. انها تتظاهر بالموت هذه المرة ، كما فعلت المرة الماضية .. كان ابي يجلس قبالتها على المائدة ، اما انا فقد كنت لا ارفع نظري نحوهما بعد المشاجرة العنيفة التي حدثت . اتهمتني بالطيش فاتهمتها بخيانة ابي . لا ادري لما خطرت لي تلك الفكرة الدنيئة . كنت اعرف انها تصاب بنوبات قلبية الا اني كنت اريد ان انتقم .. من اي شيء ..لم يثر ابي يومها لانه عد ذلك مجرد كلام غاضب مني .. فثارت نفسي حتى ابي لا يصدقني ! انه لا يعلم انني اكذب لكن كان من واجبه ان يصدقني. الا يثق بي ؟ اذا هكذا .

كتبت خطابا غراميا رزينا اقلد فيه احدى الروايات ارسله لها



بقلم ساره ناعورة

احدهم ، يعاتبها لانها لم تف بموعدها وتزره وهي التي طلبت منه انتظارها كما انه يخبرها فيه بانه مسافر اليوم . ثم طلبت من صديقي ان يخطه لي .

وقفت سيارة ابي امام المنزل ، انني اعجب به فهو هادىء وخبيث وسائق ماهر لكنه لا يسمح لي بقيادتها .. خسارة . كعادته اصر ان يحضر لها الدواء بنفسه وسالني اذا كانت قد شربت الجرعة المقررة عند الظهر، فاجبته بالايجاب واضفت لكن لا ادري لما كانت بعد ظهر هذا اليوم كالتائهة كانها تبحث عن شيء او كانها تريد شيئا .

ــ وهل طلبت الدكتور ؟

ــ لم ترد ذلك .

ــ حسنا سارى .

زوجة ابي بطولي تقريبا اذ وضعت شيئا في الطبقة العليا من الصيدلية وخاصة ورقة لن تراها ثانية ولا انا بينما ابي يستطيع ذلك بسهولة . وهكذا اخذ يحضر لها الدواء وقد لمح الظرف كما توقعت .

خرجت من المطبخ كي لا يفتضح امري اثناء شجارهما وحتى لا يرتسم على وجهي اي اثر مريب . انتظرت في الغرفة دقائق طويلة دون ان اسمع صوتا . لقد خاب ظني ، لم يحدث شيء . ان ابي يثق بها ثقة عمياء . لا بد انها قد اقنعته بكلمات قليلة .. انني اكرهها .. ماذا تراها اخبرته ؟ هل اكتشف امري ؟

في صباح اليوم التالي خرجت باكرا دون ان احاول رؤية احدهما . لم ارجع الا مساء اليوم . وفي الليل كانت نوبة قلبية تقضي مضاجعنا . لقد تاخر وصول الدكتور فالتلفون قد تعطل فجاة وقرر ابي ان يذهب اليه بسيارته وفي الطريق اصطدم ابي بسيارة اخرى فتاخر اكثر وهكذا حتى مرت النوبة لكن ليس بسلام بل تركت المسكينة محطمة .واخيرا عاد ابي مع الدكتور مصفر الوجه وكانه ينتظر مني ان اخبره انها ماتت . لكن الدكتور اكد خطورة الموقف فقط ومضى اسبوع وها هي الان تجثم في سريرها ، ابي اصبح يتاخر في الوصول الى المنزل بسبب مشاغله .. الا يعلم انها قد تصاب باحدى نوباتها ؟ هل يطلب مني ان اهتم بها ؟ هل انا زوجها !

اوه لم اصبح يتاخر ؟ لم لم يحاول اصلاح التلفون وهو يعلم ان منزلنا بعيد عن المدينة ؟ هل .. ؟ لا لا .. ان ابي ليس له اي دخل في كل ما حدث .. انه يحبها وهو يحضر لها

قصة

ترنيمة

الدكتور جمال مرسي بدر

الجزائر

شعاع نور ذهبي
أضاء خلف الحجب
خيط حرير امسكت آمال حبي طرفه
ودفقة من عبق يشتاق قلبي عرفه

أقبلت يا سعد السعود
يا بعض أسرار الوجود
فاينع الذابل من ثمار موسمي الجديب
وانطلقت من قيدها روحي الى أفق رحيب

تطلعت الى النجوم
وحلقت فوق الغيوم
ساجعة كم هزها الشوق الى هجر التراب
واستشرفت الى الاعالي كلما لاح شهاب

لكن في الافق البعيد
نذير اعصار جديد
رياحه الهوج ستودي بشماري اليانعه
ولن يعوق سيره نداء روحي الضارعة

في مثل ومض الشهب
تبين ثم تختبي
مضى ضيائي تاركا ظلمة ليلي خلفه
أصابعا تخنق قلبي والدجى قد لفه

لا .. ليس هذا منتهاك
ولن أضيع في هواك
مثلك يوما ان تجلى من عل على القلوب
لا تأتلي تحففه اذا مضى حتى يؤب

لا بد من صبح قريب
يطلع من غير مغيب
يسعدني بنفحة عذراء من سر الخلود
ويطلق الروح التي طال بها أسر الجمود

الدواء كل مساء . كل مساء ؟ لكن الا يتحرى قليلا اذا كان حقا يوجد احدهم .. تخونه ؟ ابي ليس غبيا .. يا الهي لعل الامر جدي وهي تخونه حقا ؟ لم اثارت عندما اتهمتها بهذا ؟ هل يعلم ؟

ابعدت المنشفة عن الطاولة .. انها تذكرني بالتمثيل .رميتها سريعا على السرير ، خرجت نحو غرفة ادال وقررت ان اساعدها . لن تموت بسببي اذا كانت ستموت ، طرقت الباب .. لم احصل على جواب ، احسست براسي وكان الاف المطارق تضربه .. انحنيت نحو الثقب .. لم تكن في الفراش .. بل خلفي بثوب ابيض كالكفن كشبح رهيب في الزاوية ممسكة بالسماعة المعطلة وقد ارتسم الالم ببشاعة على وجهها .. لكم اشفقت عليها .. ارجوك اريد **الدواء. بحثت طويلا .. لم اجد فلم احتمل** . خرجت سريعا من المنزل فلفحني هواء الليل البارد ، الباب مفتوح ورائي وفي نفسي افكار متضاربة كثيرة .. يجب الا تموت قبل ان افعل شيئا .

ساره ناعورة

في حياة شاعر

بقلم اديل الخشن

في احضان واد ظليل ، حيث يترقرق جدول فضي على صخور ملساء ، قضى ساعات طوالا من لهو طفولته . وبين مظلات خضراء تغلفها غلالات فضية شفيفة ، حيث قاطفات الزيتون يجمعن الغلال متنقلات من شجرة الى اخرى ، كان مع جماعة من رفاقه يعتلي القباب ليشرف على اجمل غابة تلاصقت وتشابكت فأغنت خياله واطلقت عينيه الى آفاق بعيدة .

في مدرسة القرية اولا ثم في المدينة ، لمس اساتذته الموهبة المتاصلة في نفسه ، النفحة السماوية العابقة من حروفه ، فتنبأوا له بمستقبل شعري مرموق .

كان طفلا ، فاستوعب واختزن كل الذي صادفه من جمال وبهجة . وغدا الطفل رجلا وظلت طبيعته الطفلية بوداعتها وصفائها ، بطيبتها وعفويتها ، ظلت جميعها راسخة متجذرة في اعماقه . يطلب ما يريد دون مقدمات ، ويؤمن بما يسمع دون ريبة ، فهو ما تصنع يوما ولا فاه بغير ما يشعر ، فلم يشك او يتطرق الى الما ورائية .

هاجر امى اميركا الجنوبية وزار اكثر العواصم الاوروبية والاميركية يختزن الصور والاحاسيس ويعمق رؤاه الشعرية ، فكتب اروع القصائد في الحب غازلا للمراة من شعاعات القمر ، ومن عبق الياسمين احلى الغلالات .

احب اصدقاءه واخلص لهم الى ابعد حدود الاخلاص ، لم يتلون ولم يراوغ . كان صريحا لا يعرف التملق او التستر ، وهذه الصراحة الصادقة ، او قل هذه الطيبة ، كم استغلت من قبل البعض وكم جرت عليه الاحقاد والانتقادات فكان يسامح ويغفر اذ يقول « لا يستطيع انسان تتدفق في نفسه احاسيس الحب والطيبة ان يكون حقودا » .

ما من احد يلقاه حتى تأسره هذه الانسانية وهذا الانفتاح ، فيشعر وكأنه يعرفه ويعايشه منذ زمن . غرف قلبه مفتوحة مشرعة ، ما عرف ان يريك جانبا منها ويغلق الاخر . وكما أن صدقه وعفويته المتاصلين في نفسه يشعرانك بالانس والالفة ، كذلك صمته وذهوله يخلقان هوة بينك بينه . فقد تكون في بيته او يكون في بيتك ويعتريه صمت طويل ، ينظر ويسمع دون مشاركة ، وكم يتجنى عليه بعض الاصحاب فينعتونه اما بالكبرياء او بالتقصير والسطحية ، ولكن لا الكبرياء ولا الجهل كانا يمنعانه من مجاراتهم في ابحاثهم والاشتراك في تعليقاتهم ، بل هو خياله المجنح الذي لا ينفك يطوف في شراع غيمة وعلى انزلاقة نجمة .

كثيرا ما تأففت زوجته من نسيانه المستمر او اهماله العفوي ولكنها عندما تحققت من طيبته وصفاته ، صارت تسامحه وجعلت نفسها مفكرته اليومية . كانت احيانا افكاره تسير كالقطار السريع وقد يصادف هذا ساعة الطعام فيأخذ بالاسراع ويتناوله وهو ذاهل عما حوله وعما يفعل ، فينبه الى ذلك باشارة متفق عليها .

قليلا ما كان يجلس بين اولاده يلاعبهم ويحدثهم ، ثم يأوي الى مكتبه ويغلق بابه فيغرق في وحدته وينسى وجوده وبالرغم من الصمت والكآبة البادبين على وجهه كان فرحا مبتهجا يكره التجهم والتعقد . فهو ما اهتم يوما لخسارة او ربح ، كان طموحه في الادب والشعر يتغلب على كل نواحي حياته ، ومن رافق حياته التجارية يعجب لنجاحه بالرغم من عدم المامه بها وسعيه لتحسينها . ومن ابرز صفاته في لامبالاته وعدم اكتراثه بالتجارة ، انه عندما يغلق باب عمله يغلق باب التفكير فيه او التحدث عنه ، فلا يعود يرضى ان يسال او يستوضح في موضوع تجاري .

من اجمل فترات راحته في البيت كانت تلك الساعات التي يجلس فيها في غرفة ذات اطار شرقي يستمع الى الموسيقى وقد يحتسي الخمر احيانا في اكواب ضخمة وضعت على طبق نحاسي ، كنت تنظر اليه فتخاله هارون الرشيد مع الفارق ان الجواري كانت تتراقص في خياله . كان يستمتع كثيرا بهذه الاجواء لا سيما اذا شاركه فيها بعض من اصدقائه واخوانه ، وعندئذ تمتزج روحه بالخمرة فترق وتشف وتتقطر في قصائد هامسة تهزج لها النجوم .

كذلك من احب هواياته الى نفسه السفر ، فتراه دائم التشوق الى اكتشاف الجديد والغوص في الطبائع الانسانية المختلفة ليغني مداد ريشته الملهمة ، بعد ان كان اقليميا في شعره .

وكم من مرة جلس وحيدا بين دخانه وآلامه لفجيعته بوفاء صديق . كان يستعيد في ذهنه الآمال الحلوة والاخاء الصادق والثقة الكبيرة التي يتوج بها صداقته . لكم اعطى بصدق واخلاص وطيبة ، ولكم راى الناس في مرآة نفسه واغدق عليهم من ذاته ثم فجع بهم واكتشف ان كل ما سمع كان للاستهلاك الآني . فتعصف في نفسه ثورة طاغية وتنتصب امامه اطياف الرياء وافاعي الغدر التي كانت نائمة . اللوعة تتفجر في صدره حمما تمزق صور الجمال في نفسه فيشيح بوجهه عما يرى والكراهية تغشى عينيه .

هو الان في ثورة نفسية ، في

أنـــا

أنـا يا حبيبي مـدار الحنيـن ... ورعش الظنون وهمس الفكر
انا ان سالت دروبـك عنـي ... تجـد لي بكـل طريـق أثـر
وهمسـي نـداء السنين المدوي ... يضج بسمعـك ، يغشى البصر
فكيـف التهرب من سطوتـي ... وهـل لـك ممـا تعاسي مفر
فاني أقيـم هنـاك بعيـدا ... بفـور ضلوعك حلمـا أغـر
واني شعـور خفـي لهيـف ... دماؤك منـه لظـى مستعـر
واني رفيـق الاماني وانـي ... دبيـب الضيـاء بعمـر السحر
فيـا أيهـا المتسائـل عنـي ... جوابـي فـي سـرك المستتر

الموعد الازلي

هلـم الـى غيهـب سرمـد ... الـى وحشـة الازل الابعـد
نلملم رؤانـا ونمـح خطانـا ... ونحتـم فـي صمتـه المجهد
لعـل الظلام يريـح الحنايـا ... وننعـم فـي هـدأة المقصـد
وننسـى الحيـاة وآلامهـا ... ونلهث خلـف رؤى الموعـد
رؤى موعـد كان منذ القديـم ... سنسعـى اليـه يدا فـي يـد
والا سنسعـى بأرواحنـا ... عسـى نلتقي فـي الغد المسعد

حبيبـي وماذا تكـون الحيـاة ... سـوى جمـرات هـوى موقد
اذا مـا نأينـا فحسبي عرفتـ ... ـك تـوأم روحـي بـلا موعـد
فنحن معـا فـي رواح عنيـد ... يضـل الدليـل ولا يهتـدي

دمشـق ... سلافة العامري

ربة طاغية ، يكتب ملحمة حيـاة ، ملحمة واقع ويقول انه لن يخدع بعـد اليوم، بعد ان استفاق العقل الممحص الشكاك . ان هذه الاستفاقة تنضح بالالـم الكبيـر ، إن الاستغراق والتعمق ، اكسبا شعره الوانا جديدة ونقمة وريبة هما منظار يعري دخائل النفس وخ باياها ، ولكنهما ، افقداه الصفاء والطيبة النابعين من نفسه . انه يكره هذه المدنية الفاسدة التـي جعلـت الناس يعيشـون كالممثلين ، يرقصون في الحانات وفي بيوتهـم يقيمون المآتم ، يرحبـون بالضيوف ويفرشون لهم الورد ، وعندمايغلقون وراءهم الابواب يتأففون ويشتمون . يراها سيدة تضفر حولها هالة مـن العفة والاحترام فاذا به يلقاها تجوب الملاهي،تجالس هذا وتتواعد معذاك . القرف يشيع في نفسـه ، الشـك يستعمر راسه والكراهية تنبع مـن اعماقه . « ما سر هذا الفـساد وتمنى كثيرا في ساعات تفكيره ان يغيب ، ان يختصر رحلته ، لأن الخيبـة ستزداد كلما طالت طريقه وكثـرت اتصالاته . ان اشد ما يتوق اليه ان تبقى في نفسه الصورة المحببة لقيم الانسان للمباديء الخيرة ، للنفوس الصافية . الناس يدوسون الاسلاك الشائكة ، تمزقهم ابرها ، ويتمرغون بالوحول المجبولة بدمائهم للوصول الى ما وراءهافيبدون كلوحة تثير الدهشة وزعت الوانها بيد معربدة . الطبيعة ! .. اين الطبيعة وصفاؤها اين خاماتها الناصعة ، اين العبق النقي الـذي يحبب اليك الحياة .. هنـاء زال وانقضى . وعملت سكة الحضارة في الارض فثلمتها وطمرت نباتاتها اليانعة تحت حوافر ثيرانها الهائجـة فـلا تستطيع السير دون ان تعثر او تكبو.

اما هو فقـد احب الطبيعة ، احب سهولها المنبسطة والمنفتحة على الضوء والمفوفة بشتى الازهار والرياحين ، فلم يكن لطبيعته فصول ولا لوروده اعمار ، فانك لو زرت مكتبه الهاديء لرايت غرسة نادرة اللون من « بخور مريم» تمنحه أروع ازهارها متحدية بذلك نظام الفصـول .

الشويفات ـ لبنان ... اديل الخشن

كل شيء وهم وباطل

*

ما نرجي والمجد محض افتراء … بعد طول الجهاد غير العناء
نقطع العمر خابطين حيارى … دون جدوى جريا مع الاهواء
ونشيد الحصون حرصا ونبني … زائفا كالهباب فوق الهباء
ما توانت دون الزحام خطانا … في سباق او قصرت عن عياء
نتعادى على الحطام ضلالا … كالضواري في الغارة الشعواء
كل يوم على التراب جديد … لمآس مسطورة بدماء
ما غنمنا من الجهاد فتيلا … غير فيء الاطمار من بؤساء
يانف المجد أن نخضب كفا … بدماء الاحرار والابرياء

* * *

ما نرجي والعيش أضغاث حلم … من حياة مصيرها لفناء
طمع الناس ضلة ببقاء … وتولوا وما حظوا ببقاء
حسبوا الخلد حفنة من تراب … شيدوها في صفحة الغبراء
جبلوا الترب بالدماء ليبنوا … مشمخرا على ذراع العفاء
وأقاموا بكل ثغر قلاعا … رفعوها بغيا على اشلاء
من رآها تمثل الظلم فيها … صفحات قد فصلت بجلاء
فهي تتلى على العصور فصولا … ملء سمع الاصباح والامساء
يانف الخلد ان نخضب كفا … بدماء الاحرار والابرياء

* * *

ما نرجي من صالح في حياة … عدلها الميْن ما به من رجاء
نتغنى بالعدل وهو ضلال … من نسيج الخيال والاهواء
ما رعينا في غابر غيب جار … او سترنا خصاصة من عراء
قد اقمنا شرائعا سطرتها … بدماء قواضب الاقوياء
وابحنا حمى الضعيف لجان … وغفرنا مكائد السفهاء
وعبثنا مصحفين لشر … كان فينا ، حقائق الاشياء
نصف القتل بالجهاد لنخفي … عورة الاثم في قشيب الرداء
يانف الحق ان نخضب كفا … بدماء الاحرار والابرياء

* * *

ما نرجي وكل شيء رياء … من حياة تقنعت برياء
عكست منطق الامور فتهنا … في عباب الضلال والانواء
وخبطنا بدامس كسكارى … فتنتهم حرافة الصهباء
ما عرفنا من امسنا كان وهما … يتلاشى سرابه كفشاء
ليس للجود بذلنا حين نعطي … انه المنع في ثياب العطاء
مثل حال الصياد يضمر أمرا … حين يلقي الفتات للورقاء
رب جود أمض خطبا وادهى … من مرير الحرمان في اللأواء
يانف الجود ان نخضب كفا … بدماء الاحرار والابرياء

دمشق — عدنان مردم بك



الدكتور محمد حاج حسين

احزان شاعر

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

* * *

نظر النابغة الذبياني الى لبيد بن ربيعة ، وهو صبي مع اعمامه على باب النعمان بن المنذر ، فساله ، فنسب له . فقال : يا غلام ، ان عينيك لعينا شاعر . افتقرض من الشعر شيئًا ؟ قال : نعم يا عم . قال : انشدني شيئًا مما قلته ، فانشده قوله : الم تربع على الدمن الخوالي . فقال له : يا غلام . انت أشعر بني عامر . زدني يا بني ، فانشده : طلل لخولة بالرسيس قديم . فضرب بيده الى جبينه ، وقال : اذهب ، فانت اشعر من قيس كلها .

والحق ان لبيد بن ربيعة العامري ينتظم في سلك فحول الشعر الجاهلي . . . هؤلاء الافذاذ الذين ابدعوا اروع نفحات الشعر الصافي ، الذي صدر عنهم كما يصدر الشذا عن الزهرة ، ففيهم يتمثل الشعر الخالص الذي تحتدم فيه اسداجة الفنية التي تجعله لائكا بالقلب ، تشربه النفس بلذة فارهة ، ويتغلغل في اعماقها ليعزف على اوتارها اصدق الانغام الحية .

وامتاز لبيد بن ربيعة بشاعرية خصبة ، وحس رهيف ، وعاطفة مشبوبة وعين لاقطة ، واذن حساسة تعي ادق الحركات ، فلا غرو اذا تجسدت في شعره صورة تتقد بالاصالة والروعة للصحراء في شموخها وجلالها ورهبتها وحيوانها ، ومناظرها الساجية . .

وهاضت هذا الشاعر المجنح محنة قاسية ذبحت منه القوى ، فقد انقضت صاعقة على اخيه من امه اربد ، فاحالته الى رماد ، فعمقت هذه الرزية عواطفه ، ووضعته ازاء الحياة بماساتها الدميعة التي لا ترحم ، فتلظت نفسه حسرات ، ووجد في الشعر انشودة اساه ، يزيح به هذه الكرب التي لازمته واضوته ، ينغم به احزانه شعرا حافلا باللوعة الرهيبة ، فقد كان يحب اخاه اربد حبا عميقا اخذ عليه شعاب تفكيره ، وامتلأت به نفسه . وهل هناك حب يعادل حب الاخ للأخ في عمقه وسعته ، وصفائه والقه وتمكنه ؟.

سال الاصمعي اعرابية : لماذا كان الرثاء اجود شعركم ؟ واجابت هذه الاعرابية اللقنة : لاننا نقوله وقلوبنا محترقة . واحترق قلب لبيد ، فسال منه الشعر الملتاع ، الذي مثل فجيعته الاخ بأخيه في كل زمان ومكان . انها قصة انسانية بالغة الجذور يحسها كل من فقد اخاه ، واصمى الموت فؤاده ، فقلقه الحزن ، ولفته اللوعة . ومما لا شك فيه ان شعر لبيد بأخيه خير معوان لكل من فقد اخاه ، ففيه الجزع الصادق ، والحزن الكاوي الذي لا تنطفيء جمرته ، وفيه ذلك الفراغ المربد الذي يحطم الانسان ازاء موت اخيه . وليس هذا الشعر الحي سوى قصة النفس المرزاة بفقد الاخ الحبيب ، فلا تهدأ لها لوعة ، ولا تجف لها دمعة . ولقد عمقت هذه الفاجعة نظرة لبيد الى الحياة ، وزادته حكمة ، وصقلت شاعريته ، فاندفع في شجو حزين يمثل هذه الايماضة التي حاقت به ازاء الموت ازمة الانسان على كر العصور . انه الموت الذي لا يرحم احدا :

ما ان تعري المنون من احد   لا والد مشفق ولا ولد ..

انه سلطان قهار يلوي الاعناق ، ويحطم الانفاس ، غير آبه بحرقة الاب ، او لوعة الابن . ويصور لبيد انقضاض الصاعقة على اربد في اسى رهيب ، فقد كان يدرك ان الموت ضربة لازب ، بيد انه لم يخطر بباله ان تلتهمه الصاعقة :

اخشى على اربد الحتوف ولا   ارهب نوء السماك والاسد
فجعني الرعد والصواعق بالـ   فارس يوم الكريهة النجد

وحطمته هذه الفاجعة حتى استحال الى تمثال جسد الالم .. فهو لا يفرح ، ولا يحزن . يقول في نغمات مذيبة :

فلا انا ياتيني طريف بفرحة   ولا انا مما احدث الدهر جازع
ويهيب بعينه لتسفح الدمع ..ولكن متى كان الدمع يرادالفقيدالغالي؟
يا عيني هلا بكيت اربد اذ   قمنا وقام الخصوم في كبد
وعيني هلا بكيت اربد اذ   الوت رياح الشتاء بالعضد .

انه يبكيه عندما تصطخب الشدائد ، فيفتقده الناس في مرارة ليدراها عنهم ، ولكن هيهات .. ان الواقع المرير ماثل امام عينيه الآسيتين ، فاربد ذهب الى غير

رجعة ، وخلف الشاعر في وحدة مكفهرة كسير الجناح :

يا اربد الخير الكريم جدوده   خليتني امشي بقرن اعضب

ويسمو الى ذروة الابداع الفني عندما يخاطب ابنة اخيه ، يفضي اليها بشجوه الفاجع على فراق ابيها : يقول في نغمات آسية :

لعمر أبيك الخير يا ابنة اربد   لقد شفني حزن اصاب فاوجعا
فراق اخ كان الحبيب ففاتني   وولى به ريب المنون فاسرعا

فالمصيبة التي انحدرت عليه لا حد لقسوتها :

وارى اربد قد فارقني   ومن الارزاء رزء ذو جلل .

وعندما يرى ابناء أخيه يقتسمون ميراث أبيهم ، تلتهب نفسه بالمرارة :

وايقنت التفرق يوم قالوا   تقسم مال اربد بالعمام

ولكن .. هل بقاء الزعامة في ابن اخيه اليتيم يحمل له التسرية والتعزية ؟ :

تطير عدائد الاشراك شفعا   ووترا والزعامة للغلام

وظل الحزن مستعرا بين حنايا الشاعر لم تستطع الايام ان تخفف من حدته، ففي كل مناسبة يذكرهذا الاخ، يزري الدمع ، وتند من قلبه الآهات . وكلما تقادم العهد على هذه الذكرى الحزينة استمد لبيد منها قوة تدفعه الى اللوعة الحارقة التي تلتهب في شعره ، فعاطفته الحانية قوية لا تعرف الفتور تتقد بالحب ، والرحمة الحادبة على هذا الاخ الذي قصفته المنية ، وهو في أوج شبابه .

ولا يفوت لبيد في غمرة اساه الدامي ان يرسم صورة رفافة الظلال لهذا الاخ الذي ماتليخلف في اعماقه جروحا نغاره . لقد برع في نسج خطوطها من المكارم والمفاخر العربية فاربد جمع اروع صورة للمروءة العربية التي كان يرى العرب فيها مثلهم ، فكرمه فياض ، وامواله في سبيل المعتفين ، لا يرد سائلا وان عاد هذا السائل اليه افاض عليه من نعمائه الكثير . ويهتف في لهجة محزونة :

الحارب الجابر الحريب اذا   جاء نكيبا وان يعد يعد
يغفو على الجهد والسؤال كما   انزل صوب الربيع ذي الرصد

ويفيض اسى الشاعر ، وهو يتحدث عن خصائصه الريقة .. انه البطل الذي يحامي عن القبيلة ، ويذود عنها الضيم :

الا ذهب المحافظ والمحامي   ومانع ضيمنا يوم الخصام
واربد فارس الهيجا اذا ما   تقعرت المشاجر بالخيام

وما ارق هذه الصورة الانسانية التي نجد فيها اربدا يغدق الخيرات على الفقير الذي عصب رأسه ورجليه من فتكة الجوع :

وقد كان المعصب يعتليها   ويحيى عند غايات الدمام .

فهو يمنحه الهجان الكريمة محافظا على كرامته .

وما اجمل ان تكون امواله نهبا للايتام والفقراء :

اذا ما تغرب الانعام راحت   على الايتام والكل العيام
فيحمد قدر اربد من عراها   اذا ما ذم ارباب اللحام

وتختلج به الذكرى ، فتعصره ، عندما يتمثل الامجاد التي اتلها هذا الاخ الذي غاب في حفرة شديدة التعتيم، فيصرخ في مرارة :

ايامي قومي في المآتم واندبي   فتى كان من يتبني المجد اروعا
وقولي الا لا يبعد الله اربدا   وهدى به صدع الفؤاد المفجعا
عميد اناس قد اتى الدهر دونه   وخطوا له يوما من الارض مضجعا

ويبدع في رسم صورة بارعة الالوان لاخلاق اربد، فهو:

حلو كريم وفي حلاوته   مر لطيف الاحشاء والكبد

ولهذا فجر البكاء في كل ناد :

الباعث النوح في مآتمه   مثل الظباء الابكار بالجرد .

وكيف لا يبكيه الجميع ، وهو الذي يغدق امواله على البائسين .. وهذه جارته التاعسة يحوطها بعنايته ورحمته حتى اذا ما ذهبت الى بيتها غمرته بالثناء :

وجارته اذا حلت اليه   لها نفل وخط في السنام
فان تقعد فمكرمة حصان   وان تظعن فمحسنة الكلام .

وبلغ القمة في هذه الصورة المؤثرة :

وان تشرب فنعم اخو الندامى   كريم ماجد حلو الندام .

وعمقت هذه المأساة فكر لبيد ، وجعلته وجها لوجه امام الحياة الحبلى بالمآسي ، فأخذ يتأملها ، ويتغلغل في كنهها القلب الحول ، فهي لا تفتأ تزود الانسان بالاحزان.. ولعل اجمل روافد هذا الرثاء الحي تلك التأملات المذعورة التي صبها لبيد في الحياة والموت مفكرا فيهما لا يستطيع حلا للغزهما العويص ، فهو بعد أن يتحدث عن فاجعته باخيه ، يفزع الى نفسه ، ويخلو اليها ، ليفكر في زحمة الحياة ، فلا يتمالك الا الاعتراف بواقعها السيء الذي لا يرحم احدا ، فالكثرة مصيرها الى قلة مهما تراخت السنون ، فالموت بالمرصاد :

كل بني حرة مصيرهم   قل وان اكثرت من العدد

والحقيقة المرة تنبض امام عينيه ، فالدهر لا بد ان يفجع الاحباب بالاحباب :

فلا جزع ان فرق الدهر بيننا   وكل فتى يوما به الدهر فاجع

وانتهت به تأملاته الى ان الدنيا كالدار ينزل فيها السكان ، ثم يرحلون عنها ، وما الانسان الا كالشهاب يسطع ثم يخبو ، وليس المال الا عارية ، فهو كالانسان وديعة ، ولا بد ان ترد الودائع يوما الى اصحابها :

وما الناس الا كالديار واهلها   بها يوم حلوها وراحوا بلاقع
وما المرء الا كالشهاب وضوؤه   يحور رمادا بعد اذ هو ساطع
وما البر الا مضمرات من التقى   وما المال الا معمرات ودائع
وما المال والاهلون الا وديعة   ولا بد يوما ان ترد الودائع

والحياة تسير على غير منطق ، فليست سوى مسرح عجيب تتمثل فيه المضحكات المبكيات ، فالناس العوبة في أيدي هذه الحياة ترفع بعضهم ، وتهوي بالآخرين ، فهم في مد وجزر بين خسارة وربح ، فمنهم من يسعد ، ومنهم من يفريه الشقاء :

وما الناس الا عاملان فعامل   يتبر ما يبني وآخر رافع
فمنهم سعيد آخذ لنصيبه   ومنهم شقي بالمعيشة قانع .

ويصل في النهاية الى ان العمر المديد لا غناء فيه ، ولن يفيدمنه الانسان سوى الشيخوخة يدب فيها على العصا:

اليس ورائي ان تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الاصابع

وما جدوى طول العمر ما دامت المنية بالمرصاد :

فلا تبعدن ان المنية موعد عليك فدان للطلوع وطالع

ولم الخوف من الموت ما دام لن يفلت انسان من قبضته الهاصرة ؟

اتجزع مما احدث الدهر بالفتى واي كريم لم تصبه القوارع

ورغم اعتقاد لبيد بهذه الحقيقة لم يستطع ان يتعزى عن فقد اخيه ، فأحزانه كانت كبيرة طغت على تفكيره ، فظل فؤاده ينزف الدمع ..ويحاول ان يتشبث بهذه الحقيقة الصادعة عساها تخفف لوعته ، فيلتفت الى الماضي ، فيرى ان احبابه ذهبوا ، وبقي في خلف رديء لا يرتاح اليه :

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب
يتاكلون فعالة وخيانة ويعاب قائلهم وان لم يشغب

ورغم هذا كله ظل الحزن ملازما له فرزيته لا تعادلها رزية :

ان الرزية لا رزية مثلها فقدان كل اخ كضوء الكوكب .

وهل يجدي الوداع لهذا الاخ الذي افتقده جميع الناس لشمائله الكريمة ؟

فودع بالسلام ابا حزيز وقل وداع اربد بالسلام
يفضلــه شتاء الناس مجد اذا قصر الستور على البرام .

وان فجيعة لبيد بأخيه اكبر من تفكره البارد الذي حاول ان يجد في فيئه ظلا يغفو فيه عله يتعزى ..ورغم ايمانه بقوة الموت الذي يمزق الاحياء .. حتى لا يبقى في الدنيا سوى الجبال والنجوم ظل منطويا على حزنه الذي لا يستكين . يقول :

فهل نبئت عن اخوين داما على الايام الا ابني شمام
والا الفرقدين وآل نعش خوالد ما تحدث بانهدام

ومع هذا الايمان بالواقع الذي لا يدفع تفور عاطفة الشاعر المفجوع ، ويبكي اخاه بكاء مرا فقد كان الامام والعقل للجميع :

وكنت امامنا ولنا نظاما وكان الجزع يحفظ بالنظام .

وكيف يهدأ أساه .. وهو يرى الفجيعة قد عمت الجميع ، حتى اصبح الناس لا ينفرون للحرب ما دام مسعرها قد خطفه الموت :

وليس الناس بعدك في نفير ولا هم غير اصداء وهام

وفي ذهول شديد يعجب لبيد كيف تمضي الحياة بالناس دون ان يتعظوا .. انهم عاكفون على الطعام والشراب ، وقد راوا الموت باعينهم يعدو على فارسهم وحاميهم :

وانا قد يرى ما نحن فيه ونسحر بالشراب وبالطعام
كما سحرت به ارم وعاد فاضحوا مثل احلام النيام

وينفس عن جواه بحملة على الدهر المولع بالاساءة الى ابن آدم :

لحا الله هذا الدهر اني رايته بصيرا بما ساء ابن آدم مولعا

وهل يجدي تقريعه هذا شيئا ؟.. وهل يأبه الدهر الشامخ في عنفوانه الهائج بهذا التقريع ..الحقيقة .. ان اربد سار على سنة الكون الازلية المغرمة باطاحة البشر الى الفناء :

دعا اربدا داع مجيب فاسمعا ولم يستطع ان يستمر متمنعا
وكان سبيل الناس من كان قبله وذاك الذي افنى ايادا وتبعا

وصل الى هذه الحقيقة المرة التي لم تستطع ان تطفىء جمرة الاسى الذي اشتعلت فيه ففاض بهذا الرثاء المؤثر الذي شف عن حب اخوي عظيم وشاعرية خصبة دافقة تفتقت عن اروع الصور في اسلوب رائع سائغ الوقع .

ومما لا مراء فيه ان لبيد بن ربيعة احد افذاذ الشعراء الذين احترقت قلوبهم ، ففاض بهذه الانغام الباكية الخالدة .. فأجمل الاغاني اكثرها حزنا وبؤسا .. وبز ابو عقيل في هذا اللون المؤثر الكثير من اقرانه لانه صدر فيه عن وجدان ملتاع ، هاضته المصيبة ، وارمضه الحزن ، فاشتد انفعاله ، وعاش التجربة الحية الصادقة بكل اعصابه ، فكان هذا الرثاء الدامع الذي امتزجت فيه العاطفة الملتهبة بالحكمة الواعية ، وفاضت هذه الانغام التي غناها الشاعر في وقار رهيب عن عبث الحياة .

مكة المكرمة — محمد حاج حسين

الوفاء الجميل

تحب..!! وأين الهوى الاول ؟؟
تخون ..!!واين الوفا الامثل ؟؟
أتنسى فؤادي .. من كان لي
هو القلب ، والحب ، والمامل ؟؟
أتنسى الذي ان اتى روضة
تغنى له الطير .. والجدول ؟؟
أتنسى المحيا البريء .. الذي
يلين لرقته .. الجندل ؟؟
ومن كان يأسرني سحره
ويسكرني .. طرفه الاكحل !!
فيا قلب .. أين الوفاء الجميل
لمن كمنت عنه الشذى تسأل ؟؟
لئن كان يا قلب .. فمن تروم
جمال .. فان الوفا .. اجمل !!

جدة — مقبل العيسى

ابراهيم عبده الخوري

شاعرية الشيخ مصطفى الغلاييني

بقلم ابراهيم عبده الخوري

* * *

لعب الادب دورا بارزا في منح الاستقلال لهذه الامة ، او بقاء تلك . في بيروت ، وقف الكاتب والشاعر الشيخ مصطفى الغلاييني، مع من وقف من رجالات الكلمة الحرة، يصيح بوجه الدخلاء بان يرحلوا عن هذي الديار ، ويتركوها لاصحابها .

في مجلة « النبراس » التي انشأ ، كتب مقالات سلط قلمه فيها على المستعمرين ، وطالبهم بالاستقلال التام . كما انه في دمشق وعمان اللتين قصدهما خوفا من الاضطهاد والنفي بسبب تلك المقالات السياسية العنيفة ، ما تقاعس ابدا عن شن هجمات مركزة على العابثين بمشيئة الحكم في لبنانه الاحب ، الذي اراده دوما منطلق فكر ورائد ثقافة ومبعث نور ، كما اراد للقلم فيه حرية ما بعدها حرية . وقد شهدت المنابر بخطبه الوطنية البليغة التي صب فيها جام غضبه على الذين رفضوا ان يكون لنا ، في بادىء الامر ، استقلال . فضلا عن ان منزله حفل بندوات اجتماعية وسياسية طالبت ، فيما طالبت ، بحق هذا الوطن بالحصول على استقلاله ، وكان يشترك فيها علماء الدين واللغة والآداب ورجالات السياسة .

والتفت الى الدول العربية ، فرآها ترزح تحت اثقال المستعمرين . فوقف يهاجمهم بقوة ، ويندد باعمالهم ، ويطلب منهم الانسحاب منها وترك الحكم لابنائها ، كما جاء في انتاجه .

لقد ترك الشيخ مصطفى الغلاييني انتاجا وفيرا من الناحية النثرية ، ومقلا من الناحية الشعرية . وقد دلت مؤلفاته النثرية « اريج الزهر ، الاسلام روح المدنية ، الثريا المضيئة في الدروس العروضية ، القواعد العربية ، الباب الخيار في سيرة المختار ، عظة الناشئين ، نظرات في الادب واللغة ، نظرات في السفور والحجاب ، سلم الدروس العربية في قواعد اللغة وآدابها ويقع في عشرة اجزاء . . » دلتعلى انهكان في مقدمةلغويي البلاد العربية .

اما عطاؤه الشعري فانه قام على ديوان واحد ، وبعض القصائد المتفرقة التي لا يعلم احد متى تدفع الى المطبعة . وقد نظم في الحماسة والفخر والغزل والحكمة والادب والسياسة والاجتماع . لكنه لم يحظ بنجاح في جميع هذه الابواب . لقد برع في قصائده الوطنية والاجتماعية ، وعليها قامت شاعريته . ودلت مضامينها على انه كان في طليعة الرعيل الاول من رجالاتنا الذين قارعوا الانتداب ، وجابهوا الإستعمار بصلابة جاش وعناد عزيمة . كما دلت على انه اسدى نصائح وارشادات الى الجيل الطالع في كل امصار الضاد ، وحمسه على التعلق بكيان الامة العربية . فضلا عن انه ناصر المرأة .

اسمعه في قصيدة « يا شباب العرب » يناشد ابناء الجيل الطالع ان يهبوا ويحملوا السيف ليخوضوا معارك العز والشرف :

يا شباب العرب هبو للعلا ... وانتضوا للمجد ماضي الشمم
واركبوا الهول ، وهزوا الاسلا ... واكتبوا سفر المعالي بالدم
اقدموا ، فالمجد يدعو ، والمنى ... تجتنى بالفعل لا بالكلم
من يرمها خاض امواج العنا ... والردى ينهل فيض الديم

ثم يطلب منهم ان لا يناموا على ضيم . فالاعداء ما برحت طامعة بنا . غايتها الاستعباد واضعاف شوكتنا . وعلينا اذن ان نشدد العزم . . ان تقدم لندفع عن ديارنا الحبيبة الذل والهوان ، ونبني حياة نفخر بها نحن ، ثم يفخر بها من ياتي بعدنا :

جردوا عضب الشبا ، ان العدى ... طمعت في حلنا والحرم
ان سكتنا اليوم لم نامن غدا ... ذلة الرق وضعف الشيم

شددوا العزم ، فان الوقت حان ... وادفعوا عن داركم بالخذم
ليس بعد اليوم عيش للجبان ... غير عيش الذل ، عيش الخدم

ويخاطب الشباب في « انشودة الفتيان » ، فيذكرهم بماضي اجدادهم النبيل ، المفعم بالاعمال البناءة الشريفة ، ويطلب منهم ان يبذلوا كل طاقاتهم ليعيدوا ذكر ذلك الماضي الوضاح ، وقد علقت عليهم الامال :

فبكم يرجى لنا عود العلا ... ولديكم قد حططنا الاملا
ارجعوا للعرب ما قد افلا ... من بدور الكرمات الغرب

ويدلهم على العدو الذي يرقب بنا ، فيحثهم على مقارعته حتى تكون لنا عيشة كريمة فيما بعد :

يا بني الابطال ، ما هذا التوان ! ... خصمنا يرقب والامر استبان
فلنمت نحيي على مر الزمان ... ونعش عيش الكرام النجب

حنانيك

بمناسبة عيد الفصح

عجبت لدنياك لا تبسم ... وقد غسل الرجس فيها الدم
طلعت عليها سنا رحمة ... وعالمها اغبر أقتم
يبدد فكرك ديجوره ... فتعلم ما الناس لم يعلموا
سموت بروحك عن عالم ... تحكم في خلقه الدرهم
سبيلك في نهجه مظلم ... وعيشك ما بينهم اظلم
وانك عرس الزمان الذي ... شغلت ، فانى له المأتم ؟

حنانيك حامل أوزاره ... هل الشهد احلى ام العلقم ؟
فكل شراب به سائغ ... اذا القلب عف وطاب الفم
وسيان عندك بعد الر ... سالة : تشقى بعيشك أم تنعم

حنانيك فادي هذا الورى ... لقد ضل نهجك من يحكم
أفي شرعك السمح ان يأثموا ... وان ياكل الحمل الضيغم ؟

لندن

سعيد العيسى

من « العروة الوثقى »

وفي قصيدة نونية يهاجم رجال الاستعمار هجوما عنيفا ، فيقول :

وقمنا الى العلياء نخطب ودها ... قيام همام لا ينهنه يقظان
لناخذ هذا الحق من يد غاصب ... حماه بنيران وبيض ومران
اتى طامعا في ارضنا وديارنا ... فحل حماها يرتدي ثوب عدوان
وما هو الا الذئب ، حتى اذا راى ... ذهولا من الرعيان شد على الضان
سنقرعه ، حتى تلين قناته ، ... بعزم فتى يحمي العقائل غيران

وكما يتعلق المحارب بالسيف ، فان الشاعر كان يتعلق بالقلم .وكان يرى ان القلم سيف مسلط فوق عنق كل دخيل ومغتصب . اسمعه في قصيدة يتحدث عن قوة السيف والقلم في المعارك ، ويناشد امته ان تحمي ارضها وتموت في سبيل بقائها :

ان الحياة ، حياة العز ، ما برحت ... في قبضة الاكرمين : السيف والقلم
ما قيمة المرء ، ان لم يحم جانبه ... قلب اذا وجم الابطال لم يجم

وحارب الشيخ الغلاييني الطائفية بعد ان وجدها مصدر كل علة ، وتعمل على هدم حياة كل شعب . كما انه حارب السياسة الهوجاء التي عملت على اتساع مسافة الخلاف بين المسيحيين والمسلمين ، بعد انتهاء الحرب وجلاء الاتراك عن هذه الديار ، فادت الى التنافر والتشاحن في الاندية وعلى صفحات الجرائد ، وقضت على الالفة التي كان يفتخر بها هذا الوطن :

الا قاتل الله السياسة ، انها ... على الشرق داء لا نرى منه واقيا
وسيف له حكم على الناس مبرم ... وان جار عمدا او اساء التقاضيا
ففرق شمل الامر بعد اجتماعه ... وعطل جيدا كان بالحب حاليا
واوهن صرحا بالتاخي مؤيدا ... فعاد كما يبغي الهوى متداعيا

وتذكر وعد بلفور وتألم من سيطرة الاستعمار على سورية ولبنان ، فقال :

هذي فلسطين،عهد السوء «بلفرها» ... حتى ادعاها غريب الدار والنسب
فصار فيها غريبا رب عصمتها ... ومن له في حماها وافر النشب
والشام من بحسر لبنان الى كبد ... الصحراء،في كف قاسي الخلق مغتصب

وفي أيامه ، كانت حقوق المراة مهضومة . فوقف بجانبها ، وايد كل مطاليبها لانها جد عادلة . كما انه ناشد الفتيات على ان يسعين وراء العلم في عصر اضحت فيه الثقافة ركن كل تقدم :

فهبي الى العلم واسعي له ... فبالعلم تسمو فتاة العرب

ويوجه كلامه الى من يهمهم الامر للاعتناء بالفتاة ، فيقول :

اذا ما عنيتم بهدي البنات ... تروا امهات لكم صالحات
يقاسمنكم متعبات الحياة ... ويعرفن من حقكم ما وجب

وعلى لسان الفتيات يقول فخورا :

نحن للامة ، ان جلت تصاريف الزمان
مرهف ماض ، به تفري خطوب الحدثان
نحن للمجد فؤاد ، نحن للعز يدان

وبعد ، ان الثورة كانت متاججة في صدر هذا الشيخ ، كما يستدل من الابيات التي مرت هنا . وتبقى قصائده الوطنية في دولة المنظوم شاهدا على ما بذل في محاربة الاستعمار واتباعه . وتدل بجلاء تام على انه ما تقاعس مطلقا عن تأييد حق المراة بالمطالبة بالعلم والحقوق الشريفة .

ابراهيم عبده الخوري

قصة

الفأر على الرصيف

بقلم جهاد الكاتب

ـ تاخرت !
ـ شغـل .
ـ الاكل بـرد .
ـ **لست جائعا .**

خلعت سترتي ورميتها علـى السرير ، فعاودني صوت امي :

ـ جاء الجابي
ـاي جابي ؟
ـ جابي الماليـة .
ـ ماذا يريد ؟

واحسست بجسمي ينهار فجاة. لم تجبني امي ، بل راحت تنفض سترتي لتعلقها على المشجب . في كل يوم ساعتان اضافيتان مـن العمل ،ومع ذلك لا اكاد أجني شيئا. وعيد راس السنة يمر دون ان أشعر به . لم تتغير الوجوه .. كل شـيء أراه رتيبا ومملا .. الثلوج دهنت الدنيا باللون الابيض ، والشمـس وحدها لحست بلسانها آثار الدهان، ثم قالوالي نحن في عام جديد . قالت لي الزميلة البدينة :

ـ **اين ستسهر ليلة راس السنة ؟**

قلت في نفسي « ستكون سهرتي ممتعة . في السرير يكون جسمي مطفأ الاحساس . **لا اشعل** سـوى شمعة الاحلام .. اشق الحائط .. اتزوج.. انجب الاطفال .. طفـلان يكفيان .. يجب ان يكون اسماهمـا جميلين .. اشتري سيارة .. اهيء لقاءات سعيدة مع الفتيات .. ابني قصرا بعيدا عن الشتاء .. صورتـي معلقة في كل مكان ، مطبوعة علـى صفحات الجرائد . انني اشعر بكامل حريتي وانا اغلف جسدي باللحاف».

قلت لأمي :

ـ رايت فـارا ..
ـ ايـن ؟
ـ على الرصيف . كان مدهوسا. احشاؤه حمراء تلون راسه . ذنبـه طويل .. لم ار في حياتي مثيلا له.
ـ الفئران كثيرة في هذه الايام .

وشعرت انها تعنيني . ضممت قدمي عند حافة المدفاة ورحت افرك يدي مرات ثم دسستهما بين فخذي.

كانت قطرات المازوت تتدافع لتذوب في اعماق الانبوبة الرصاصيـــة ولتستقر في معدة المدفاة ..الشرق دوما يقذف كرة الشمس ..والغرب وحده يتلقفها ويبتلعها .. الغيـــوم الماطرة ، اعمدة الهاتف ، **الاشجـار العارية ، الدخان الكريه ، العصافير الجائعـة .. كل هذا لم يتبدل** ، ثم نحن في عام جديد ! لا شيء يعجبني غير هذا الرذاذ يغسل الشبابيـك ويكتم ضجة الشارع . قالت امي :

ـ يريد خمسا وسبعين ليرة .
ـ الم تفهميه بالذوق ..بالمعقول؟

اجابت امي ببرود وهي تحرك طبق الاكـل :

ـ لم نسدد عن السنة القديمة .. كان يريد ان يحجز ..

صرخت : ـ اعرف .. ولكن .. كيـف !؟

وغلفنا الصمت برهة ثم همست في نفسـي :

ـ **لا استطيع شراء معطف .**

تساءلت امي وقد سمعت الهمس:

ـ نعـم !؟
ـ **قلت انا لا استطيع شراء معطف.**

كنت لا اريد ان اقحم والدتي في موضوع المعطف رغم حاجتي اليـه . يقولون لي في العمل : الدنيا برد . وافهم انهم يعنون « اين معطفك؟» . واجيب بطرف لساني :

ـ لا . الحمد لله ، السنة دافئة .

نظرت الى ساعتي فرايتها واقفة. هززتها . ثم حشرتها في مدخـل اذني ، كانت خرساء . قلت بغضب:

ـ حتى الساعة توقفت .

عبر زجاج الشباك خرجت نظراتي تقتحم السماء .. تسلقت حبال المطر، واستقرت فوق الغيوم . ركبتها . سارت على طريق خضراء . عبرت جسرا عتيقا . في الضفة الثانية من الجدول ثمة تمثال لأنثى .. تستقر نظراتي عند جسدها الرائع .. تلك بداية اسطورة جميلة علي ان اكملها فيما بعد ، اما الان فان اعجابي يطلب ضريبة العام الماضي وان لم نسكتـه بالمال فانه سيتسلح بورقة طويلة عليها عدة تواقيع واختام يرافقها شرطـي عتيـق . وقفت أتطلع من الشباك فلحظتني امي وقالت :

ـ الجيران رموا علينا اليوم قشور برتقال وموز .

واتنفضت فجاة . رايت في نفسي قوة خياليـة تستطيع ان تحطم كل شـيء :

ـ تريدين ان اصعد واضـرب جارنا .. اعمل وجهه خريطة !؟

ويبدو أن امي ندمت على قولهـا فاسرعت تهدىء من ثورتي :

ـ **لا يا ابني** . نحن أناس على قد حالنا . ما لنـا والمشاكل .

هززت ساعتي .. **نقرتها بطرف اصبعي فتدحرج المؤشر الصغير** ، وظللت اراقبه عدة دورات ، ثـم اطبقت **جفني واستعرضت ذكريـات** سريعة وردت من نفسها . هـذا العام لم سموه جديدا ؟ انا لا أجـد فيه ولا حتى رائحة الجدة ، فصوت الدراجات **البخارية لم يتغير** ، بـل ازداد صراخها وعويلها . وأنا لـم اتغير، فقط زاد عمري كومة من الايام. وامي لم يتوقف تسلل الشيب الـى شعرها الفاحم ، وسحنات **الموظفيـن** الباهتة لا تحمل دليلا واحدا على ان عاما قديما قد هرب . تقول لـي الموظفة البدينة ضاربة الالة الكاتبة :

ـ أنت شاب ، ويجب أن تمرح. لا تكن جادا دوما .. عابسا . الجد الدائم يفقد هيبة الانسان .

واضحك في أعماقي . تغازلني اللعينة ، تظن نفسها بلبلا او واعظا. لا باس ، ففي احاديثها بعض الصدق. ثم ان وجهها جميل ، رغم ما فيه من حبوب حمراء . على الاقل هي الانثى الوحيدة التي احادثها بمواضيع خارجة عن حدود العمل . كنت اضطرب واطرق راسي عندماتحدثني .. والان تعجبني افكارها . ولكنها لم تسمع بقشور البرتقال والموز وجارنا العنتري . واؤكد انها لا تهتم بشيء اسمه جابي المالية بقدر ما يشغلها اعادة رسم وجهها وتزيينه . ثم انني انا وحدي الذي يصفعني البرد . عند النوم اقول في نفسي دوما ايمكن ان اتزوجها ! راتبي وراتبها يفتحان بيتا محترما . امي عاقلة تهرب من المشادات . ثم انها اذا اقلعت عن حشو معدتها بالاكل المتواصل فلا بد ان تعود الى نحافتها. هي عرضت علي الزواج . لست غبيا . ولكنني احب الصمت . قالت لي منذ مدة :

ـ الشاب يختار زوجته بنفسه ، والفتاة يجب ان تصنع نفس الشيء. ويومها احسست بانها مرتبكة فانسللت من الغرفة .

نسيت نفسي . غلفتني الاحداث بغلالة سميكة من الضياع .الحائط وحده يعرف كيف يحرق هذه الغلالة بولاعته .أما انا فاشعر باحزمة تشد لساني .. تهصر عضلاتي .دسست يدي في جيبي بنطالي وغمست راسي بين كتفي . وخيل الي ان شاربين اسودين يناطحان خشب الباب . آه ! هذا الوجه الصارم المصنوع من خليط معادن منحطة رخيصة يلاحقني اينما كنت . .كلماته تدق راسي « أنت شاب عاقل .. ومؤدب .. ومستقيم ولكنك غبي » واتساءل كيف اكون غبيا . ايعقل ان تكون ولادتي مغلوطة .. لي اذنان طويلتان ، وشعر خشن . وذنب طويل .. امشي على اربع !؟ وكيف اكون انسانا اذن ؟ انني لا اتجرؤ على سؤال صاحب الشاربين والا غضب مني .. وقد يطردني من العمل . شيء واحد يحيرني هو ان بقية الموظفين الذين اعمل معهم ليسوا اغبياء . صحت وانا أنتشل سترتي:

ـ الناس كلهم اغبياء .

وتعلقت ابصار امي بقدمي .نظرت اليهما ثم قلت :

ـ لا تنظري . انا اعرف ان حذائي يمتصان الماء ، وجرابي مبتلان ، والاصبع الكبير اخرج راسه من الجراب .. ماذا أفعل ؟

رايت دمعتين في عيني امي ، لؤلؤتين من بحر عميق قذفهما الطوفان . اقتربت منها ورميت كفي على راسهافتبعثرت كلمات على لسانها:

ـ نحن مستورون بعود من القش .. كل شيء الا الفضيحة .

هممت ان أقول لها : حان الوقت الذي يتلع فيه الهواء هذا العود . واتراجع . لقد استدنت ما فيه الكفاية . ورغم ان الحجز عملية قذرة وفاضحة ولكنني لا استطيع ان الوث رقبتي بديون جديدة . ثم اننا في اول الشهر .. اول عام جديد . فكرت في اقاربي . استعرضت اسماءهم واحدا فواحدا . انهم غارقون في نهر كريه من الانطواء والفقر .وتابعت في راسي وجوه الموظفين ، وظللت استعرضها حتى استقرت الدوامة وهدات ، وانجلى وجه ضاربة الالة الكاتبة . ارتاحت نفسي . لم أستدن منها غير مرة واحدة . كان ذلك يوم قدمت هدية الى احد اقاربي بمناسبة زواجه . قلت لأمي :

ـ انا ذاهب .

ـ والاكل ؟

ـ لست جائعا .. لست جائعا .

ادخلت الحذاءين في قدمي والقيت نظرة من الشباك . كان الشارع صاخبا بسيول المطر . لم ازرها في بيتها . ظلت علاقتي بها متحفظة وضمن نطاق العمل. ساقابل امها.. يجب ان يكون مظهري لائقا .المعطف ضروري لكل المناسبات . هي بدينة ولكنها جميلة . خصلات شعرها رائعة . ثم انها تحبني . انا رايت ذلك في عينيها . يجب ان امتص هذا الحب وهي لن ترفض. طمرت رقبتي بياقة السترة واغلقت ازرارها ثم لفحت راسي بلفاحة قديمة . سمعت صوت أمي خافتا :

ـ لولا السمان الحاج عبدو لكان الجابي حجز البيت . هو كفل ان ندفع غدا .

اجبت وفي صدري اطمئنان :

ـ آه لو سكت المطر ! بيتها بعيد .

ـ من هي ؟

ـ موظفة عندنا .

ـ متزوجة ؟

لم إجب عنها . وعندما هممت بفتح الباب قالت لي :

ـ لم تاخذ المظلة .

قفزت الى الشارع ،وطواني المطر . ظللت اركض . كفاي على صدري، وعيناي نصف مغمضتين . اذا لم اجدها فتلك مصيبة . واين تذهب في مثل هذه الساعة ؟ الشيطان لا يخرج من بيته . وقفت برهة تحت سقف صغير من الصفيح العتيق . نفضت ثيابي وضربتها بيدي . وشعرت بوخز في اصابع قدمي . لم تعد تهمني السيارات التي ترشق الماء الوسخ . كان علي ان آكل ولو لقمة واحدة ، فانا جائع . عدت الى ركضي أقفز بساقي القصيرتين . الا يمكن ان اكون عداء في احدالايام، عداء عالميا ! وفجاة توقفت قدماي عند الفار . كانت احشاؤه مغسولة لا اثر للدم فيها . ذنبه مقطوع . فمه مفتوح . اسنانه دقيقة . في الامس كان يعيش في دفء اكياس الطحين. اعجبه منظر المصيدة فترك الاكياس السمراء واهتم بما في المصيدة من طعم نتن . وبعد قليل يدحرجه المطر الى البالوعة الشرهة .

شعرت وكان ابرة المصيدة الرفيعة تنغرز في رقبتي .. يجب ان اهرب قبل ان يطوق السلك القوي صدري .. ولكن .. فات الوقت .

وبلا معطف ، رحت اقفز على الرصيف كفار يلاحقه قط .

حلب — **جهاد الكاتب**

المغزى الاخلاقي لوجود الانسان

(شيئان يملآن الوجدان باعجاب واجلال يتجددان ويزدادان على الدوام كلما امعن الفكر التامل فيهما : السماء ذات النجوم من فوق والقانون الاخلاقي في صدري) . عمانوئيل كنت .

بقلم نـدره اليازجي

* * *

هنالك تباين قائم بين وجهات النظر الاخلاقية . ويعود هذا التباين الى الموقف الذي يتخذه الانسان ازاء الوجود الروحي والمادي . لقد وضعت الاخلاق في قواعد مختلفة ومتعددة قال بها اناس متباينو الفكر والعقيدة . ومن بين وجهات النظر هذه تبرر المكيافيللية الوسيلة بالغاية . فالغاية تعبر عن الوسيلة باي شكل من الاشكال . وتكون اخلاق مكيافيللي اخلاقا نفعية ترتبط بالمصلحة الشخصية وتبرر كل شيء ، وذلك لانها لا تعتمد على اية قبلية تعتبر قانونا نحت في صدر الانسان بل تعتمد على على المهارة والخداع . وفي راينا تكون المكيافيللية عامل تأخر شديد لانها تربط الاخلاق بالمصلحة الفردية والاجتماعية التي ترتبط بالامير مباشرة . وعلى هذا الاساس تبرر هذه الاخلاق كل عمل او دور يقوم به الامير ، دور الاسد او الثعلب او الحمامة ، اذا كان يؤدي هذا الدور او العمل الى منفعة الدولة . وهكذا تكون نظرية ماكيافيللي في الخير مهدمة لان الخير يعني المنفعة التي تقوم على تبرير ذاتها . ولما كانت المنفعة تختلف من شخص لآخر ، ومن فئة لاخرى ، فان اخلاق ماكيافيللي تخلو من قاعدة عمل .

ومن وجهات النظر الاخرى تأتي آراء نيتشه الذي قسم الاخلاق الى قسمين : اخلاق العبيد واخلاق السادة. وقد ادت هذه الاخلاق الى خلق « سوبرمان نيتشه » اي الانسان الاعلى الذي يتخذ من ارادة القوة قاعدة لفعله . ولا ندري كيف تستطيع وجهات النظر هذه ان تصقل شخصية الانسان الذي يريد ان يحقق انسانيته . وكل ما نستطيع قوله هو انها لم تعبر تعبيرا صحيحا عن حقيقة ما زلنا نبحث عنها لكي نكونها . والى جانب هذه النظريات قامت آراء اخرى تحاول ان تضع للاخلاق قواعد ثابتة لا تتبدل وتعتبر مجموعة من الاوامر والنواهي . وفي هذا المجال نتحدث عن انواع اربعة للاخلاق :

١ ـ الاخلاق التي تعتبر البساطة والتواضع والتسامح والمحبة قمة عليا . هي اخلاق تمت بصلة وثيقة الى مجموعة الاوامر والنواهي المثالية كما تمت الى الفعل الاخلاقي الذي يجعل من الانسان كائنا اخلاقيا متفوقا .

٢ ـ الاخلاق التي تعبر عن الفضيلة والمعرفة . وتعود هذه الاخلاق الى سقراط الذي ابان ان الفضيلة معرفة والمعرفة فضيلة . وتظهر لنا هذه الاخلاق ان المعرفة وسيلة لان هدفها يعبر عنها .

٣ ـ الاخلاق الديمقراطية التي تفرض على الانسان ان يحترم غيره وفق قاعدة القانون وان يقف واياه على مستوى واحد بغض النظر عن بعض الفروق البسيطة .

٤ ـ الاخلاق الاقتصادية التي تجعل من اخلاق الانسان نتاجا لوضعه الاقتصادي . وتجعل هذه النظرية الانسان فردا اجتماعيا واقتصاديا يخضع لقوى الانتاج المادي ومستواه .

هكذا تختلف وجهات النظر الاخلاقية بحيث انها لا تلتقي في نقطة واحدة . فالماكيافيللية لا تنادي باخلاق لانها لا تضع قاعدة ثابتة تطبق في كل زمان ومكان . لذلك ليست هي امرا او نهيا . ونيتشه لا يعلم اخلاقا صحيحة لانه يمزج بين الواقع والمثال ويعتبر ان الاخلاق تنبثق عن ارادة غير واعية . ونحن نسامح نيتشه اذا قصد من انسانه الاعلى الهدف الذي يحققه التطور اي الصورة المثلى للانسان . اما الاخلاق التي تعتمد على المعرفة والفضيلة فانها تحصر مفهوم هذه الاخلاق بطبقة الفلاسفة والحكماء والعلماء فقط وذلك لانهم ، في عرف فلاسفة اليونان ، قادرون وحدهم ان يصلوا الى المعرفة والفضيلة عن طريق التفكير والتامل ، وتجرد من لا ينتمون لهذه الطبقة من الاخلاق لانهم لم يحققوا مستوى عاليا من المعرفة . لقد جعلت هذه الاخلاق من الفئة المفكرة القليلة نورا ومن الفئة غير المفكرة الكثيرة ظلاما . وهذا ما لا تقره الاخلاق. لذلك لم يبق لنا سوى نوع واحد من الاخلاق هي اخلاق البساطة والتواضع والمحبة لانها قادرة ان تكون قاعدة عامة ينطلق منها الانسان لتشمل كل بني الانسانية .

ونحن لا ننكر ان الاخلاق كمعرفة وفضيلة هي درجة عليا في سلم الانسان ، ولكننا نأخذ عليها ضيق اطارها فتنمو وتترعرع بين فئة واحدة من الناس ، فئة قليلة من المفكرين ، ويبقى الجزء الكبير من الانسانية متخلفا . ولا نشك ان المعرفة اخلاق عالية اذا طبقت في سبيل اعلاء شأن الانسان وذلك لان اخلاق الانسان تتطور وتزداد كلما ازداد الانسان معرفة وبالتالي فضيلة . ان معرفتنا للكون يقربنا من شعور خفي يسيطر علينا ويرينا حقيقة عظمى هي حقيقة المطلق . ومن معرفتنا لهذه الحقيقة او من شعورنا بها تنشأ فينا فضيلة كبرى .

اما اخلاق نيتشه التي يعبر عنها باخلاق السادة واخلاق العبيد فانها تجزيء العالم الى قسمين : العبيد والسادة . ومما لا شك فيه ان السادة يمثلون الاقلية بينما يمثل العبيد الاكثرية . وتؤدي هذه النظرية الى خلق فئة قليلة قائدة وفئة عديدة تابعة ، كما تؤدي الى الديكتاتورية والى المساوىء التي تنتج عنها . لذلك لا

يمكننا ان نقر باخلاق انسان نيتشه الاعلى لانه انسان تفوق على اقرانه بارادة وهمية استخلصها من عظمة وهمية.

اما الاخلاق الديمقراطية فانها تعتمد على قاعدة المنفعة الاجتماعية العامة فتضبع على نفسها التقييم الاخلاقي الذي ينبع من وجود قبلي. ويكون الانسان ، حسب الاخلاق الديموقراطية ، عنصرا اجتماعيا يعمل للمجتمع ويضحي لاجله ، لكنه ينسى القاعدة المتافيزيقية للاخلاق . لذلك تبدو هذه الاخلاق كانها مشوهة نوعا ما لانها تستجيب للدوافع الاجتماعية وتتغاضى عن حقيقة عظمى ، هي حقيقة الانسان . لهذا لا نزال نرى شيئا من التخلف الاخلاقي في الانظمة الديموقراطية التي حولت اخلاق الانسان الطبيعية الى اخلاق اجتماعية يعمل فيها عامل الحرية غير المقيد والمؤدي الى نتائج قبيحة ، وعامل المساواة الذي لا يقوم على قاعدة اصيلة للمساواة ، وعامل الاخوة الذي لا يطبق .

ويستحيل ، في نظرنا ان تكون اخلاق الانسان نتاجا لواقع اقصادي وذلك لاننا نفرق بين المعيشة والحياة . فالمعيشة هي الواقع المادي الذي يعتمد على مستوى العيش والحياة هي الوجود الانساني ككل . وفي راينا ان الانسان يخضع لنظامين : نظام المعيشة وهو نظام الزمن ونظام الحياة وهو نظام الابدية. ويعتمد نظام المعيشة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي فيكون الانسان فردا اجتماعيا واقتصاديا ، بينما يعتمد نظام الحياة على الوجود : دراسة الوجود وفهمه ، دراسة الانسان وفهمه، الغاية من وجود الانسان وحقيقة وجوده . وهكذا تتفوق الحياة على المعيشة اذ ان الانسان يحيا اكثر مما يعيش ، بل يستطيع ان يحيا بقليل من المعيشة وبكثير من الحياة .

تحاول النظرة الاقتصادية ان تجعل من الانسان مخلوقا يعيش اكثر مما يحيا . وبهذا تعمل هذه النظرة على تحطيم قوى الانسان الاخلاقية لانها تربط وجوده بالمعيشة فقط وتتغاضى عن وجوده كحياة . ويمكننا القول ان العلماء والمفكرين وذوي الاخلاق العالية يعملون لاجل الحياة ولاكتناه اسرارها اكثر مما يعملون من اجل المعيشة. انهم لا يهتمون ان علت مراكزهم الاجتماعية او ان زادت عائداتهم المالية بقدر ما يهتمون بتطوير الحياة او باختراع شيء عظيم او بتحقيق افكار صافية . وهكذا نعتقد ان الحياة اهم من المعيشة ، وعلى الرغم من ان الانسان يعمل لمعيشته في اطاره الاجتماعي الضيق لكنه يحقق وجوده لانه يحيا . فالاخلاق ارفع من ان تكون نتاجا لوضع اقتصادي .

امام هذه التناقضات الجذرية التي ترمينا في هوة من الضياع نعود لنسأل انفسنا : ما هي الغاية الاخلاقية من وجودنا ؟ كيف نبرر اخلاقية وجودنا ؟ لماذا تجعل هذه الاخلاقية من الانسان غاية بنفسه ؟ وما معنى الاخلاق الانسانية التي نتحدث عنها في كل زمان ومكان ؟ نود في هذا المجال ان نجعل من موضوعنا بحثا يؤدي الى تاسيس قاعدة نتخذها كسلوك انساني عام . **ومن اجل هذا يجدر** بنا ان نبحث في الاخلاق من الزوايا التالية :

في ان الاخلاق مفهوم قبلي

في الانسان قدرة فاعلة للخير ، هي طاقة طبيعية توجد فيه وتخلق معه . وتتجلى هذه الطاقة في تصرفات بسيطة وفي انواع متعددة للسلوك كالرافة والعطف والمشاركة الوجدانية وتانيب الضمير وبعض التصرفات الاخرى التي تظهر حتى عند الاطفال الصغار . وتتجلى هذه الطاقة ايضا حتى في اشد الحالات النفسية ظلما وكبرياء ، وعند المجرمين والخطاة والقساة الذين ، في حالة من حالات صفائهم ، يعودون الى اعماق نفوسهم ويقرون بضعفهم وشرهم ، انهم يعودون الى حالتهم الطبيعية الحقة التي تريهم سوء تصرفهم .

في الانسان اذن قاعدة اخلاقية عظيمة تفعل فيه بشكل مباشر وغير مباشر ، واع وغير واع ، روحي ومادي ، عقلي ووجداني . وتبدو هذه القاعدة كنور ينبعث من اعماق الانسان ويضيء طريقه . ومهما سار الانسان في ظلام فكره وقوته وارادته فانه يشعر بهذا النور الذي اطفاه هو وقضى عليه . ان احكامنا الاخلاقية قبلية ، تنبثق من اعماقنا ، ومواقفنا قبلية لانها كائنة فينا وتجعلنا ان نقف امام الموضوع موقفا فكريا معينا . وسلوكنا الاخلاقي قبلي من اوجهه المتعددة . ونحن نوافق عمانوئيل كانت الذي يشدد على وجود قانون اخلاقي في صدورنا.

في ان الاخلاق غاية وهدف

القبلية الاخلاقية منظمة في الانسان وهادفة ايضا . انها تهدف الى تحقيق مستويات عليا للوجود . ويعتبر السمو الانساني الهدف الذي يرنو اليه كل واحد منا لكي يحقق طاقته بشكلها الافضل . ويعتبر الهدف الاخلاقي طبيعة متاصلة فينا ، يعمل بجد ونشاط ليسمو الانسان على ماديته . وعندئذ يعتبر الانسان غاية بذاته لانه يعمل لتحقيق هدف وجد معه .

غاية الانسان هي ان يتحرر من ماديته اي ان يعلو بها الى درجات عليا وسامية . ولا يمكن ان تكون هذه الغاية تلقائية لانها مضمونة فيه وداخلة في صلب تركيبه. فهي قبلية اذن ، وبقدر ما تكون قبلية تكون ذات غاية وهدف . فالفعل الاخلاقي ينطلق من اعماقنا لكي يرينا انفسنا في حالة افضل او يسير بنا الى درجة اسمى من وجودنا . وهكذا يصل الانسان الى نفسه اي الى الصورة التي سيكونها والتي هي نفسه ذاتها وهي في صيرورتها . وهذا يعني ان الانسان سيصل الى نفسه التي يعمل على تحقيقها عن طريق الفعل الاخلاقي الخلاق. وتعتبر كل صورة يضعها الانسان لنفسه فعلا اخلاقيا

ساميا وقفزة نحو وجود افضل اى تحقيق غاية لانها ستخلق منه الانسان الذي يسير الى تحقيقه او يعمل على تطويره وتحسينه . وكما نعتقد ان التطور الانساني في المرحلة الاخيرة لوجود الانسان هو تطور اخلاقي يعمل على ازامة كل عقبة تقف امامه ، كما يعمل على فصله نهائيا عن مملكة المادة التي سيطرت عليها الغريزة لسنين طويلة. فالتطور هو ان يتخلى الانسان عن هذه الغريزة . وهذا التطور الاخلاقي هو سير الانسان نحو تحقيق انسانيته ، اي تحقيق الانسان الاسمى الذي يعتمد على قاعدة المبدا الاخلاقي .

في ان الاخلاق محاكمة فكرية ومنطقية

الارادة فعل ، والاخلاق فعل ، والعمل الاخلاقي فعل ارادي . والفعل الارادي قرار عقلي ومحاكمة فكرية . اني اريد بعد ان افكر ، وتفكيري هو تعقل ذاتي للموضوع. فالارادة هي موقف عقلي ازاء الموضوع . ويعتبر هذا الموقف الذي يتخذه الانسان سلوكا . ولا يخرج هذا السلوك عن دائرة الاخلاق.ان غاية او هدف التفكير هي الموقف الذي نصل اليه كسلوك اخلاقي .

الاخلاق محاكمة عقلية منطقية وليست فعلا تلقائيا او غوغائيا او نتيجة دافع غامض لا ندركه . هي وضوح شامل يسطع امامنا لانها نتيجة عملية عقلية اي نتيجة التفكير . فالاخلاق السامية تفكير واضح . وكل موقف غامض اي كل تصرف اخلاقي مشوش هو نتيجة تفكير غامض ومضطرب . وهكذا تكون الاخلاق صافية بقدر ما يكون التفكير صافيا او منطقيا . وعندما نقول ان الاخلاق عملية منطقية او فكرية نعني ان العقل يحاكم ثم يعقل ويعطي قرارا نسميه حكما او فكرة . وعندئذ يتخذ الانسان سلوكا او تصرفا او موقفا . وتكون افكارنا واضحة بقدر ما تكون محاكمتنا واضحة وبالتالي تكون اخلاقنا واضحة وصافية بقدر ما تكون افكارنا ، التي هي نتاج احكامنا ، واضحة . فالاخلاق هي خلاصة التفكير الحي الذييعتمد على الوعي .

في ان الاخلاق محاكمة وجدانية

تخطىء احكامنا العقلية والمنطقية . ويعود خطاها الى ان العقل لا يستطيع ان يحيط بالموضوع احاطةشاملة. وعندما تخطىء محكمة العقل تستانف الموضوع الى الوجدان . وتنظر محكمة الوجدان في الموضوع الذي مثل امامها ، وبعد محاكمة عادلة تأخذ قرارا .تختلف محكمة الوجدان عن محكمة العقل في انها اكثر دقة وعدالة وصوابا . وتكون احكامها أقرب الى الحقيقة ، لذلك تتفوق على محكمة العقل .

ان اخطاء محكمة العقل تخلق مشاكل عديدة لا يكون العقل قادرا على حلها .وعلى هذا الاساس نلتجىء الى محكمة الوجدان التي تعيد النظر في قرارات ومواقف محكمة العقل ، تماما كما تعيد المحاكم العليا النظر في قرارات المحاكم الدنيا . ويعبر القرار المعطى من محكمة الوجدان عن القدرة الانسانية لانه نتيجة فعل العقل والوجدان معا . وهذا يعني ان الوجدان يقوم اخطاء العقل ويخرجه من تشويشه . ولا شك ان كل واحد منا يرتاح لقرار وجداني يتخذه ازاء موضوع ويعتبر ان حلا نهائيا قد وجد .

تختلف محكمة الوجدان في دراستها للموضوع او في اعتبارها له عن محكمة العقل . للعقل اسسه المادية كالحواس والموضوعات الخارجية والداخلية التي تقدم له. ولما كانت ملكة الحكم ناقصة في العقل لاسباب نذكر بعضها ـ عدم توفر الادلة والبراهين الكافية ، اختلاف الازمنة والامكنة ، عدم توفر العقل الناضج ، عدم معرفة العلل ـ لذلك يستانف العقل حكمه الى الوجدان .انحكم الوجدان هو اعظم فعل اخلاقي لانه يتخذ قاعدة مالية له يعتمد عليها في محاكمة عقلية منطقية ومن ثم يتخذ قاعدة اعلى تتجاوز حدود العقل وتعلو عليه .للوجدان اذن اسسه غير المحسوسة ، تعتمد على قوى باطنية عميقة تمت الى حقيقة الروح بصلة. فالحكم الوجداني حكم روحي وخلاصته هي الفعل الاخلاقي .

في ان الاخلاق تعبير عن الشخصية الانسانية

لا تكتمل الشخصية الانسانية بالمهنة والعلم فقط وذلك لان العلم وسيلة مادية لمعرفة الوجود ، والمهنةوسيلة لكسب العيش . الشخصية الانسانية تعبير عن كيان الانسان بشكل عام ، والذات الانسانية تعبير عن الوجود الاجتماعي والمعيشي . يتعلق العلم والمهنة بالذات بينما تتعلق الاخلاق بالشخصية . فالشخصية وليدة الاخلاق التي تبدو في المهنة والعلم معا . ونحن لا ننكر العلاقة التي تقوم بين العلم والاخلاق .ولكن هذه العلاقة لا تعبر عن اتحاد الاثنين معا .ويمكن ان تتحقق هذه العلاقة عندما يهدف العلم الى الاخلاق ويتغاضى عن المهنة والعمل . ويؤسفنا أن نرى عددا كبيرا من الناس يسعون وراءالمراكز الاجتماعية او المهنية المربحة الرائجة ولا هدف لهم سوى المعيشة المريحة . ان بشرا كهؤلاء لا يكللون اعمالهم بتاج الاخلاق بل يعملون لكي يحققوا مشروعا اجتماعيا يعبر عن الانانية . ولا يجد هؤلاء في عملهم سوى وسيلة للكسب وطريقة للرفاه ، فتتحول الفكرة الاخلاقية المضمونة في العمل الى مهنة فقط . وللذلك لا يحقق هؤلاء شخصيتهم الانسانية بل يهملونها ويتغاضون عنها .

ان احترام الشخصية الانسانية وتحقيقها لا يتمان الا بالطريقة الاخلاقية التي تجعل من الانسان غاية بذاته . وعندئذ تكون قيمة الانسان اجل من علمه او مركزه او مهنته لان كيانه اكثر شمولا من ذاته . وتندثر الشخصية

الانسانية عندما تنتصر الذات في شكلها الاناني على الكيان في شكله الانساني . وعلى هذا الاساس تعتمد الاخلاق على القاعدة الانسانية التي تجعل شخصية الانسان اسمى واجل من قيمه الاجتماعية التي يحيطها بهالة من التبجيل. هذه الشخصية الانسانية تعبر عن ثقافة الانسان ، عن سموه وترفعه وعلوه والدرجة التي وصل اليها في سلم تطور الانسان . وتبدو هذه الشخصية من خلال العمل الذي يعرف بها . وهذا العمل اما ان يرفعها او يحطها ، اما ان يدنسها او يقدسها ، وذلك لانه الوسيلة التي تظهر كيف تطبق الاخلاق .

في ان الاخلاق قيام بالواجب

عندما افكر في واجباتي اراني بعيدا عن تحقيقها . وعندما افكر في حقوقي اجدني اطالب بها . فانا اريد كل شيء اطالب به وادعي انه حقي ، فتكثر مطالبي وحقوقي، واما واجباتي فاني اهملها . على الانسان اذن ان يبشر بفلسفة الواجب لا فلسفة الحق .

ما هو الواجب ؟ بل ما هو واجبي في الوجود ؟ ان واجبي هو ان افهم الوجود ، ان اخضع لاحكام وجداني وعقلي ، ان افعل الخير واحترم غيري . فالواجب حقل واسع لا ينتهي . وهكذا يبدو ان وجودي يفرض على الواجب اكثر من الحق . ان فلسفة الواجب اكثر صدقا من فلسفة الحق وذلك لان الواجب يعني العطاء والتضحية بينما الحق يعني الاخذ فقط . واذا اردنا ان نقيس الواجب والحق في ميزان العظمة لوجدنا ان العظيم هو من يعطي اكثر مما ياخذ والناجح هو من ياخذ اكثر مما يعطي . فالواجب هو حق الله على الانسان وليس حق الانسان في شيء . وعندما يقوم الانسان بواجبه يحصل الناس على حقوقهم دون ان يطالبوا بها .

فانا اذن امام مسألة حق ، وحقي الوحيد ان اقوم بواجبي . ويتم هذا الحق عندما ادخل هيكل وجداني فأرى هناك حقوقه علي . وعلى هذا الاساس اقوم بواجبي الانساني لانه مطلوب مني ان اطبق الحق . واعظم صورة استطيع ان احقق هذا الحق هو بالقيام بواجبي . فالحق هو الذي يصرخ في اعماقي ويطالبني بما للطبيعة وما لله والانسان من حقوق علي . وهكذا تضعني فلسفة الواجب امام مسؤوليتي الاخلاقية كانسان وتتبلور هذه المسؤولية بمقدار ما احقق من واجب . فانا مسؤول الى حد كبير ، وكلما حققت واجبي حققت مسؤوليتي . ان واجبي يصل حتى التضحية بالنفس . لذلك رأيت في التضحية اعلى مراتب الاخلاق .

في ان الاخلاق مفهوم اجتماعي

لا تعتبر الفلسفة صافية ونقية ما لم تطبق. فالفلسفة يجب ان تعاش ، والاخلاق يجب ان تعاش ايضا ، والا فانها تبقى وبالا على الانسان لانها تتحدث في موضوعات لا تمت الى الواقع بصلة . لذلك ظل عالم الفكر منفصلا عن عالم الواقع وبعيدا عنه . ولذلك تعاني الاخلاق كثيرا وتتهم بانها تمت الى عالم الوهم بصلة كبرى . وينظر الجاهل الى الاخلاق انها وسيلة لتخدير الضمير لا اكثر ولا اقل ، بينما هي في الواقع وسيلة لتفتحه وانعاشه وانطلاقه ، كما ينظر اليها انها بعيدة المنال وصعبة التحقيق وتختلف عن الواقع . وتعود هذه الاتهامات بجذورها الى علة واحدة وهي : ان الانسان لا يطبق ما ينادي به بل يتنكر له عندما تصطدم مصلحته به ويرفضه في كثير من الاحيان . ويكون هذا الرفض او هذا التنكر نفيا للاخلاق.

ولكن عندما تطبق الاخلاق في المجتمع وتعبر عن حقيقة انسانية يتاكد الانسان انها الوسيلة الوحيدة التي تحقق المجتمع الفاضل . فالمجتمع امتحان لاخلاقي ، وهو الحقل الذي أطبق فيه تجاربي ومواقفي وسلوكي وتصرفاتي . وفي هذا الحقل ينطبق الفكر على الواقع ويتم الانسجام بين تفكيري وتطبيقي لهذا التفكير . واذا تناقضت مواقفي بين تفكيري بالاخلاق وتطبيقها ينهار المجتمع ويصبح حقلا لحضارة بائسة لا تمت بصلة الى الانسان كما يفقد صفته الانسانية .

تعلمني اخلاقي ان لا استثمر غيري ، ومن واجبي الاجتماعي والانساني ان لا أتخلى عن هذا الواجب عندما تسنح لي فرصة مؤاتية تحقق رغباتي . وتعلمني اخلاقي ان لا استجيب لانفعالاتي لكي لا اقع في خطأ جسيم ولكي اجنب غيري مغبة الخطأ . وتعلمني اخلاقي ان لا اسعى وراء تحقيق قيم زائفة تحقق ذاتي وتتنكر لكياني . وتعلمني اخلاقي ان لا اتهرب من واجبي الاجتماعي حتى ولو لم تكن هناك عين رقيب . وتعلمني اخلاقي ان افكر ببني الانسان لانني انسان ، ولان تفكيري بالانسانية تعبير آخر عن تفكيري بنفسي . كما تعلمني هذه الاخلاق ان لا اتكبر على غيري او اسيء معاملته او اقلل من شانه او احقره .

هكذا تكون الاخلاق الدافع الاساسي لكل فضيلة اجتماعية . انها تقوض عرش الشر وتشيد عرش الخير. ولا يمكن ان تصطلح المجتمعات البشرية ما لم تعمل لتحقيق وجودها الاخلاقي وتطبيقه في المجتمع. فالمجتمعات ما زالت متاخرة في حقل الروح لان الجانب الاخلاقي مهمل وضائع . ومن واجب الشعوب ان تبني نفسها من الداخل ، من القلب والعقل والروح ، وذلك لان البناء الاخلاقي يقضي على كل المساوىء . لا شيء ، كما اعتقد ، يضع حدا لانانيتي ، لا شيء يضع حدا لاستثمار الغير واستبعادهم ، لا شيء يضع حدا لرغباتي ودوافعي سوى الاخلاق التي تنبع من داخلي . وكما قلنا ان هذه الاخلاق تنبع من تعقلي ووجداني من تفكيري وارادتي . وهكذا لا نحقق المجتمع المثالي ما لم نحقق اخلاقنا اولا .

في ان الاخلاق تعنى البساطة والتواضع

عنت الفلسفة المثالية بتهذيب الانسان اي بصقل طاقاته . وطالب افلاطون بتحويل شهوات الانسان الى فضائل .من الممكن ان نحول الشر الى خير والكذب الى صدق والانفعال الى هدوء والكبرياء الى تواضع .وتعتبر هذه الصفات النفسية اخلاقا لانها لا تخرج عن دائرة شخصية الانسان الداخلية ولا تخضع خضوعا مباشرا لعقله .

لم تنظر الاخلاق الى عقل الانسان فقط بل نظرت الى قلبه ، مركز العواطف والانفعالات . وعملت ان تخلق من هذا القلب مركزا هاما يرفع قيمة الانسان ليعلو بنفسه . وهكذا علمت الفلسفات المثالية بساطة القلب ونقاءه وصفاء النية وسموها،وعلمت الانسان الحق وقدرته على التعالي. وقد لمست هذه الفلسفات ضمير الانسان وحركته وشددت على الناحية الاخلاقية التي هي الوسيلة الكبرى لتقريب الانسان من حقيقته ، من الله .

ان سمو الانسان ، عظمته وتعاليه تنتج من حياة اخلاقية توجه قواه الى الخير المطلق . وسموه هذا لا يعتمد على قواه العقلية بقدر ما يعتمد على قواه النفسية التي يعمل فيها لكي يجعلها نقية وصافية . لذلك اضحت الاخلاق كلمة مرادفة للبساطة والتواضع والتعالي والنقاء الفكري والقلبي . ولذلك كانت قاسما مشتركا بين جميع الناس لا يحتكره احد اكثر من الاخر ولا يعطي لواحد اكثر مما يعطي لواحد اخر . ويتساوى جميع الناس بهذا المفهوم اذا تساووا في تطبيقهم للاخلاق .

في ان الاخلاق نظرة متافيزيقية

اذا كان حقا ان الانسان يولد في هذا العالم وترافقه منذ ولادته نزعتان هما الخير والشر فمن المؤكد اذن ان مفهوما متافيزيقيا يولد معه ويعتبر هذا المفهوم المتافيزيقي دافعا طبيعيا يحثه دوما على تحقيق وجوده لذلك لا يخرج وجود الانسان عن كونه وجودا اخلاقيا له غاية وهدف . وتعتبر غايته القصوى ان ينتصر على القوى المادية التي تقاوم طاقاته العلوية باستمرار .ويمثل الصراع بين الشر والخير الذي يتم داخل الانسان نظرة ميتافيزيقية للوجود كما يمثل الفكرة التي وجد من اجلها الانسان وهي الانتصار على قوى الظلام اي الشر ومعرفة الحياة وادراكها ادراكا صحيحا .

في اعماقنا دافع خفي يحثنا على فعل الخير والفضيلة بصورة ميتافيزيقية او اجتماعية . ويعمل هذا الدافع حتى عند اكثر الناس انحطاطا من الوجهة الاخلاقية .لماذا يعمل فينا هذا الدافع ؟ لماذا وجد فينا منذ ان وجدنا ؟ لماذا يحثنا باستمرار ويلومنا عند الخطا ؟ وما هي الغاية غير المرئية التي تعمل فينا بجهد لاجل تحقيقها ؟ واين هي الغاية وكيف نراها ونلمسها ؟ ان هذه الغاية تمثل الهدف من وجودنا وذلك لاننا في دأب ونشاط مستمر لتحسين احوالنا النفسية والاخلاقية والعقلية . ولذلك قلنا ان تطور الانسان هو تطور اخلاقي .

اننا نعمل اخلاقيا لهدف لا نستطيع ان نلمسه او ان نحس به او ان نتصوره في عقولنا وذلك لان الطاقة الاساسية الموجودة في اعماقنا تفعل دوما وابدا لتحسين الانسان ورفعه في سلم الوجود . وما هو هذا الوجود؟ وما هي درجاته ؟ هي الدرجات الاخلاقية التي نتسنمها ، الدرجات التي تساعدنا ان نتعالى على واقعنا ، على مادتنا، على انحطاطنا . لذلك كانت الاخلاق اهم من العلم المادي، واهم من الحالة الاقتصادية او الاجتماعية ، وكانت مفهوما متافيزيقيا لانها تجعل من الانسان غاية بذاته .

في ان الاخلاق قمة التطور الانساني

يقول احد المفكرين ان الانسان يتأرجح بين المثالية والحيوانية . فما هي العوامل التي تنزل به الى درك الحيوان او ترفعه الى درجة المثالية ؟ الفعل الاخلاقي هو الذي يقرر المصير .هي الاخلاق التي اما ان ترتفع بالانسان حتى يصل الى درجة عليا من سلم التطور او تنزل به الى بداية السلم اي الحيوانية . ولا يمكن ان يقوم تطور الانسان على الناحية العقلية فقط . فالانسان عالم كامل ، يحمل كل العناصر المادية . فهو اذن يحمل الكون الروحي والمادي معا . ويعبر الكون المادي عن الغريزة والدوافع التلقائية اللاشعورية ويعبر الكون الروحي عن الطاقة الخلاقة ، الاخلاقية والفكرية ، التي تعمل في الانسان لكي ترفعه من ماديته الى مستوى اعلى وتعلو به في عالم كيانه الذي لا ينتهي .وهذا يعني ان تطور الانسان يتم من ذاته الى كيانه اي من مادته الى روحه ، واعني ان المادة تتطور حتى تصبح روحية .

ان تطوير المادة حتى تبلغ درجة اخلاقية عليا يحتاج الى ارادة قوية والى سمو عقلي عظيم . فلكي ننتصر على الحقد نحتاج الى طاقة كبرى من المحبة والتسامح ، ولكي ننتصر على الكبرياء نحتاج الى طاقة كبرى من التواضع والبساطة ، ولكي ننتصر على انفعالاتنا نحتاج الى طاقة جبارة من الوعي . فارادة القوة تتحقق في هذه المفاهيم البسيطة وليس في ارادة قوة نيتشه . واعتقد ان نيتشه ذاته قصد ان يعبر عن اخلاقية عليا في تصويره للسوبرمان، لكنه اخطأ الطريق والهدف . ان الهدف من تطورنا اخلاقي وروحي ، والانسان يسير ، من خلال العلم وسيطرة العقل الناضج ، نحو عالم روحه ليكتشفه ويدركه . . . هذه هي الغاية من وجودنا .

في ان الاخلاق تضع نهاية لظاهرة القلق

القلق الروحي مظهر للوجود لانه يعبر عن توق الانسان الدائم للحقيقة واضطرابه امامها . اما القلق المادي فهو

ظاهرة اجتماعية تتغلغل في الانسان وتجعل منه كائنا يهتم بتحقيق وجوده المادي . فهو يقلق ان لم يحقق معيشته بالشكل الذي يرغب فيه ، ويقلق لعالم فارغ يلمس عبثه . وهكذا يكون القلق وليد الاضطراب الداخلي الذي يصيب من لا يحقق رغباته .

يمعن القرن العشرون بالقلق الذي تسبب عن الحروب والويلات وعن عدم الحصول على درجة معيشة جيدة . وينتج هذا القلق عن الصراع الداخلي الذي يجعل من المرء عبدا لرغباته الضرورية وغير الضرورية . ويأخذ القلق شكل الخوف . فيخاف الانسان من مستقبل غامض من حياة اجتماعية مضطربة لا تستقر ، ومن امور تزعجه في داخله . ان وضع نهاية لهذا القلق يحتاج لقاعدة تنبثق من الانسان نسميها القانون الداخلي او الاخلاق التي تبرهن للانسان ان وجوده اسمى من اي موضوع يقلق من شانه . وتعتبر هذه القاعدة قانونا سرمديا يقود الانسان ويرسم له طريقا من الايمان بنفسه وحياته ومجتمعه ، ويجعله ينظر الى الحياة الاجتماعية بمنظار اخر يختلف كل الاختلاف ، وان يقيم وجوده على اساس انه غاية تسمو على الغايات الاخرى .

القاعــــدة الذهبيــــة

هكذا تكون الاخلاق ، كما يقول عمانوئيل كانت ، فعلا يتفق مع « قانون وضعته لنفسي ولا اجني شيئا من ورائه » وعندما اطبق هذا القانون على الانسان اجعل منه غاية بذاته .

نستطيع بعد هذه الدراسة الوجيزة لمعنى الاخلاق ولمغزى الوجود الانساني ، ان نقول ان الاخلاق مجموعة من الاوامر والنواهي السرمدية التي لا تتبدل . فالفعل الاخلاقي امر لا يمكن التراجع عنه ونهي لا يمكن التراجع عنه ايضا . وليس بمستطاع الانسان ان يبدل من هذا الامر بشيء وهذا النهي عن الشيء كما لا يمكنه ان يوجد فجوة في الفعل الاخلاقي لكي لا يعتبر ناقصا اي لكي لا ينهار . يقول عمانوئيل كانت « افعل الفعل بحيث يمكن لمسلمة سلوكك ان تصبح مبدأ لتشريع عام » .

استطيع عندما احقق فعلا اخلاقيا ان اجعل منه قاعدة عامة لسلوكي ولا استطيع ان اخرق هذه القاعدة اطلاقا وذلك لكي لا تنهار او تتداعى . ان اي خرق ، مهما كان بسيطا لقاعدة الاخلاق يعتبر تهديما للقاعدة كلها . فانا لا استطيع ان اوصي الاخرين او ان انهاهم عن الربح الفاحش غير المشروع واسمح لنفسي ان اربح ، حتى ولو كان الربح قليلا ، بالطريقة التي انهيت عنها . تنهار قاعدتي الاخلاقية عندما اخرقها جزئيا او كليا .

ولا يمكن ان تصبح قاعدتي الانسانية فعلا اخلاقيا ما لم اكن قد وضعت لها قانونا لنفسي اطبقه على نفسي وعلى غيري على السواء . واذا اختلف التطبيق فان قاعدتي تنهار . لذلك تعتبر القاعدة التالية قاعدة ذهبية للاخلاق: « لا تفعل بالغير ما لا تريد ان يفعله الغير بك » . من هذا القول تنطلق اخلاقي . انا قاعدة الاخلاق . وهذه القاعدة تطبق بالتساوي على نفسي وعلى غيري . وليس بامكاني ان اطبق على غيري ما لا طبقه على نفسي ، كما لا استطيع ان افعل بالغير ما لا افعله بنفسي . وهكذا تكون قاعدتي الاخلاقية نقطة انطلاق للانسان في عالمه فتكون للانسان غاية وهدفا ، لا بل يكون الانسان غاية بذاته ـ وقد اصاب عمانوئيل كانت في كتابه « تاسيس متافيزيق الاخلاق » عندما قال : « افعل الفعل بحيث تعامل الانسانية في شخصك وفي شخص كل انسان سواك باعتبارها دائما وفي نفس الوقت غاية في ذاتها ، ولا تعاملها كما لو كانت مجرد وسيلة » .

هنا في اعماقنا يجثم وجدان نسميه الضمير . وقد ولد هذا الوجدان معنا ليكون دافعا لنا وقائدا وهدفا وغاية ، فنحن ننطلق منه لنعود اليه . ان هذا الوجدان يسجل افعالنا كلها ويوجهها عندما نترك له المجال ليفعل فينا ، ويهجرنا عندما نهمله . ويموت هذا الوجدان وينهار الانسان ويفنى بموته هذا . ويعتبر هذا الوجدان قانونا اخلاقيا في صدر الانسان نحت فيه منذ الازل وسيبقى حتى الابدية .

دمشق — ندره اليازجي

احزان المدينة الجديدة

صديقتي ، حبيبتي البعيدة
انا هنا مشرد في بلدتي الجديدة
في غابة مهجورة مديدة
انا هنا لم انفض الغبار عن جريدة
ولم اقل لحلوة قصيدة
لم اشد الحان الهوى في حانة ليلية رغيدة
ولم اذق من خمرة دنانها تليدة
ما اطول الشتاء في مدينة ، حسبتها ودودة
القيت عند بابها احلامي السعيدة
صديقتي ، يا نجمة في ليلتي وحيدة
اخاف اوهام الرؤى والصمت والبرودة
حبيبتي ، صديقتي البعيدة
الشوق بعض علتي في بلدتي الجديدة

الرقة ـ سورية — ابراهيم شعيب



اميـــل توفيـــق

صور وانطباعات من رحلاتي في السودان

بقلم اميـــل توفيـــق

* * *

٧ ـ سنكات .. وخشم القربة .. وحديث *.ووداع

سنكات : في مارس سنة ١٩٦٤ توجهت مع زميل هندي الى بلدة « سنكات » بقصد الاشراف على امتحان المدرسة الوسطى هناك .وتقع «سنكات» على بعد ست ساعات من بورسودان .ويلاحظ المسافر ان القطار يأخذ من بورسودان يتلوى متعرجا بين الجبال ، ويتدرج صعدا فوق التربة الصخرية حتى اذا وصل الى سنكات ، يكون قد ارتفع الى ثلاثة آلاف قدم فوق سطح البحر ، ويكون قد ترك الجو الرطب الحار ، ليستقبل مناخا جافا ربيعيا يميل لبرودة الشتاء ، مما يشعرك بانك على شاطىء من شواطىء البحر المتوسط . وسكان هذه البلدة يشتغل معظمهم بالرعي . وهم يستمدون المياه من الآبار . وجل البيوت قد بنيت من الطوب اللبن او من الجريد . اما المنازل الحديثة نوعا فقد اصطفت على جانبي شارع واحد هو الشارع المميز للبلدة وفيه الحركة التجارية ، كما ان فيه ملتقى لشبكة العلاقات الاجتماعية بين الاهلين. اما المستشفى والمدرسة الوسطى ومركز البوليس فقد شيدت على طراز حديث ، لا يفوقها غير قصر الاسرة الميرغنية التي تحتل جانبا اجتماعيا خطيرا في البلدة والتجوع المجاورة ، بفضل ما تتبادل به مع جماعات الناس في المناسبات الوطنية والدينية والاجتماعية . وجل هؤلاء الناس مـن قبائـل الهدنروه .

وليست لسنكات اهمية خاصة .غير انها كانت قديما ميناء جمركيا للحجاج الذين كان عليهم ان يتوجهوا الى ميناء سواكن عبر الصحراء . ومن سواكن كانوا يستقلون البواخر الى جدة . ولما حلت بورسودان محل سواكن ، لم تعد هناك حاجة الى وجود جمرك في سنكات ، واصبح الحجاج يتوجهون مباشرة الى بورسودان .

وتعد سنكات كذلك مصيفا شعبيا يستقبل افواجا مـن شعب بورسودان الهارب من الحر ابان شهري يوليو واغسطس ، ليلجأ الـى أجمل جو في المنطقة الشرقية كلها . وعلى بعد ثلاثين كيلومترا مـن سنكات ، تقع بلدة «اركويت» ـ مصيف السـودان الجميل ـ حيـث ترتفع حوالى اربعة آلاف قدم فوق سطح البحر ، ومن ثم فهي تفـوق سنكات من حيث المناخ .وقد اقيم في اركويت فندق كبير ليستقبـل كبار الزوار والمصطافين .وقد ذكرت هذه البلدة ضمن الانباء السياسية الاخيرة في اوائل ١٩٦٥ ، حيث كانت مكان اللقاء التمهيدي بيـن مندوبي الجمهوريين وجماعة الملكيين في اليمن .

ويحيط بسنكات تلال متعددة . وقد اخبرت ونحن في « ونسة » بنادي الموظفين ان احد المفتشين الانجليز بنى على سفح هذه التلال منزلا تحيط به حديقة بديعة التنسيق . وقد كان يعتـاد ان يتناول الشاي في عصر كل يوم على قمة التل مع بعض مريديه من السودانيين. وقد ترك نصبا تذكاريا اشبه بهرم صغير نقش عليه اسمه على قمة ذلك التل ، وفي المكان المختار . ولكنني فهمت ان علاقة المواطنين به لم تكن طبيعية فقد عمد بعض الاهلين الى تشويه اسمه المنقوش ، بسبب مـا انطبع في اذهانهم عنه من نزعة استعمارية بغيضـة .

ولعل اهم ظاهرة اجتماعية استرعت انتباهي ، واجتذبت اهتمامي، هي ظاهرة الولاء للاسرة الميرغنية من جانب السكان وخاصة اهل القبائل. فقد كانت اسرة الميرغني تحتفل بزواج احد شبابها ، ولذلك فقد انتقلت القرية من حالة السكون الرتيب الى حالة من الحركة والحياة . كانت جموع من القبائل تفد من كل نجع ، وخاصة في قوافل من الجمال . وكانت النسوة ، عندما تصل اية جماعة الى القصر ، يتبادلن الاغاريد والغناء وسط دقات الطبول وحركات الرقص . وكنا نرى الفتيـات مقبلات وهن يرتدين الوابهن السودانية الملفوفة ، ذات الالوان الفاقعة، وكانهن في مهرجان او استعرض مرح كبير . وفي كل يوم ، كان فنـاء القصر وابهاؤه تستقبل هذه الجماعات الوافدة وتستضيفهم بالمآكـل والمشرب ونحر الذبائح .واما رؤساء العشائر فكانوا من جانبهم يقدمون الولاء بتقديم الهدايا السخية من رؤوس المواشي . ولعل الناس وهم يقبلون ليشاركوا اهل الاسرة المباركة ، ويظهروا آيات الولاء ، كانـوا يجدونها فرصة اجتماعية ، او مناسبة جماعية للاحتفال بتقاليدهم ، او للتبادل الحبي ، بالونسات والتزاور بين الجماعات . ولعل مـن يدرس أوجه النشاط المختلفة لهؤلاء القبائل وأمثالهم لا يجد تفسيـرا أوجه من تفسير البروفسور بادنجتون العالم الانتروبولوجي وصاحب النظرية الوظيفية خلفا للعالم ماليناوسكي.فلست تستطيع ان تدرس وجها من اوجه النشاط البشري لهؤلاء القبائل ، الا وتجده يتكامل مع الوجوه الاخرى للنشاط اذ انها جميعا تصدر من منبع واحد . وهذا هو قوام النظرية الوظيفية ومعنى هذا ان هناك محورا للحياة ، ترتكز عليـه شخصية القبلية ، وتدور حوله كل انواع نشاطهم ، فهو الذي يوجه سلوكهم ، ويوحد صفوفهم ، ويؤكد ذاتيتهم ، ويبرز فرديتهم ، مـن بين القبائل الاخرى . ومحور الحياة عند هؤلاء الرعاة هو الـولاء لعمدتهم ، وزعيمهم الروحي ، وعنوان ولائهم الاجتماعي والديني ،السيد الميرغني وخليفته من بعده ، فهو واسرته ، رمز الولاء ، وأسـاس الانتماء ، واس التماسك او الترابط الجماعي . وذلك في اطار العقيدة الاسلامية والتقاليد المرعية للقبيلة .

خشم القربة : امـا الرحلـة التالية فقـد كانت الى بلدة خشـم القربة ، وابتدات ايضا من بورسودان ، وكان لها ايضا نفس الغرض ـ اجراء الامتحان بالمدرسة الوسطى .والى القارىء الكريم المذكرات الاتية:

٢٤ـ٢ـ١٩٦٥ ـ قام بنا القطار في منتصف السادسة مساء ،وكان الجو ربيعيا ، وتوزع اكثر من خمسة عشر من الزملاء في اماكنهم . وقضينا معظم الوقت في التزاور والايناس كما في المناقشات . وكان القطار في ساعاته الاولى يصعد المرتفع ، وعندما انبسطت الارض تماما

* راجع عدد نوفمبر ١٩٦٦ من « الاديب » .

كان الجو في تلك البقعة العالية فوق سطح البحر ، قد أصبح يمتاز بالبرودة المنعشة التي تخلو من الرطوبة .

من الظواهر الاجتماعية التي استرعت اهتمامي وبادرت بتسجيلها ظاهرة « التعايش السلمي » بل الاندماج الانساني بين البعض من اليمينيين واليساريين.ان الفن يجمع دائما بين الاطراف المتناقضة ، فهو الذي يؤلف بين قلوب الناس ويؤاخي بين نفوسهم مهما اختلفت نشأتهم وثقافاتهم . ومن هنا فلم اكن اعجب ان ارى الزميل الذي يتسم بالتصوف والوجدانيات الروحية ، يستمتع بالصحبة الذهنية والتبادل الفكري لزميل آخر ، يهتم بالعقلانيات ، ويعرف بميله للفلسفةالوجودية وبقراءاته في كتب سارتر وسيمون دي بوفوار . لان الفن كما قلت هو الذي يربط بين مختلف الثقافات برباط الانسانية . ولقد تميزت سهرتنا بالاستماع الى اصحاب الحكايات والمغامرات او الذكريات الممتعة في جنوب السودان . وفي اليوم التالي ، كان عددنا ينتقص بنزول الرفقاء في المحطات المقصودة . وعندما انتصف عمود الشمس كان القطار قد وصل بنا الى مدينة كسلا .

٢٥-٢-١٩٦٥ ـ في محطة كسلا انتظر بنا القطار حوالي الساعة . تناولنا خلالها ما أثلج صدورنا من المرطبات التي يبيعها بوفيه المحطة ، كما أننا استروحنا بالسير قليلا في المنطقة المحيطة . ان اول ما يجذب انتباهك ذلك الجبل الاصم الاشم الشامخ بصخراته المتقطعة في قسوة وعظمة معا ، والجاثم يستعرض عضلاته كأنه جبار يتحدى . وانك لشاهد في رحاب تلك المنطقة تلك الاعشاب والشجيرات المتفرقة من بعيد ، ومن خلفها مناظر الحدائق الغناء التي تشتهر بها المدينة .

استانف القطار مسيره حتى وصل بنا « خشم القربة » في منتصف الثالثة مساء . وكان في انتظارنا ناظر المدرسة الوسطى . ونزلنا من القطار فريقين ، احدهما توجه الى حلفا الجديدة بسيارة خاصة . اما فريقنا فقد توجه بسيارة اخرى برفقة السيد الناظر ، الى المدرسة اولا حيث وضعنا ظرف الامتحانات في الخزنة الحديدية . ثم استانفنا المسير حتى الاستراحة الحكومية الفخمة . تتكون الاستراحة من مبنى رئيسي يضم صالونا كبيرا ، وصالة للطعام ، وشرفة رحبة .ويجاور هذا المبنى ، مبنى آخر خصص للمعتمد ولنائب المعتمد . وأمام هذين المبنيين توجد ثلاثة مبان اخرى على صف واحد ،يتكون كل منها من غرفتين وصالة ودورة مياه مستقلة .

ونزلت انا وزميلي (الاستاذ حسن بلال مدرس الجغرافيابيورسودان الثانوية) في احدى هذه المباني وحللنا غرفة تعلوها « قطية » على شكل قبة مخروطية جميلة .

والاستراحة تقع باكملها على ربوة عالية من الصخر منبسطة ، ثم تنحدر من جوانب عديدة ، وهي تشرف على نهر عطبرة المتعرج ، وترى مجراه قابعا بين الصخور الجرانيتية ، وحيث يندفع عميقا نحو مدينة عطبرة ، وهناك يندمج في النيل العظيم سائرا شمالا نحو حلفا فالقاهرة . وعندما تقف على احد هذه المشارف تحس بعلو تلك الربوة الشاهقة من مجرى النهر . والهضبة باكملها تحيط بها اشجار شجرت خصيصا لتزيين الاستراحة وتكسوها بالخضرة الدائمة . ولكن هناك على شاطىء النهر وفي المنحدرات الصخرية المؤدية الى مجراه ، توجد شجيرات صغيرة ، تضفي على المكان منظرا اخاذا وهذه الشجيرات تخلو الان من اوراقها الخضراء ، ولكنها تكتسي بحلتها المبهجة عندما يحل شهر يوليو وتظل زاهية مورقة ابان شهري اغسطس وسبتمبر فيبدو المكان جنة وارفة عبقة .

ولقد شرح لي زميلي ـ الاخ حسن بلال ـ الذي استمتعت بصحبته وايناسه ودماثة خلقه ، شرح لي ظواهر عديدة جغرافية واجتماعية في تلك المنطقة المتاخمة للحبشة . واول ما تحققت منه هو اساس التسمية « خشم القربة » . ان نهر عطبره (وله روافد في الحبشة) ينحصر مجراه بين الصخور ـ كما ذكرت ـ ويضيق هذا المجرى عند هذه البلدة ، ثم يأخذ يتسع رويدا رويدا مثل القربة وهو في طريقه الى مدينة عطبرة . ومن أجل ذلك سميت المدينة خشم القربة (ويقول الزميل ان المصريين يتندرون بقولهم خشم القلة) .

عند المبنى الرئيسي يوجد منحدر ، اقيم في نهايته « مصطبة » من الحجر لها درج حجري ، وتشرف هذه المصطبة مباشرة على النهر، وقد اقامته الحكومة العسكرية السابقة ، وهي تكمل الاستراحة ،عندما كانت الزيارة لهذا المكان ضرورية من جانب المسؤولين ، لمباشرةمشروع الخزان الذي سنزوره في فرصة تالية .

وفي مساء ذلك اليوم ، وكانت الانوار المقامة على عمد صغيرة تضيء المكان وفناء الاستراحة بثرياتها من النيون . اقبل علينا السيد نائب المعتمد الاستاذ فاروق درويش ورحب بمقدمنا اجمل ترحيب هو وبعض النزلاء الافاضل . ووجدنا الجو مهيأ للونسة والاسترواح والهدوء مما خفف عنا متاعب السفر .

في صباح ذلك اليوم دعانا السيد فاروق درويش نائب المعتمد للقيام برحلة تبدأ بزيارة حلفا الجديدة ،وتنتهي بزيارة للخزان . وكنا في هذه الرحلة اربعة : أنا وزميلي حسن بلال والسيد صلاح ـ الخبير الزراعي ـ المقيمحاليا بالاستراحة،والسيد النائب الذي يقودسيارةالرحلة (اللاندروفر) . وقد كان اتجاهنا في طريق يحاذي القناة التي تغذيها بالمياه ، البحيرة المتكونة خلف الخزان المقام . وقد حفرت هذه القناة في الاراضي المسماة بالبطانة ، (وهي تتاخم منطقتي خشم القربة وكسلا.) كجزء من المشروع الكلي . وأما مياه القناة فانها تمد الاراضي الزراعية بمياه الري ، كما تمد القرى المنشأة ، ومدينة حلفا الجديدة بمياه الشرب . وقد رأينا على طول الطريق تلك القرى المقامة في كنف الاراضي الزراعية الجديدة (وقد زرعت لاول مرة بالقطن والذرة والقمح القليل). ووصلنا بعد ساعة وربع الى حلفا الجديدة .

واهم ما يلاحظ ان التخطيط الذي وضع للتوطين قصد به ان تتماثل المناطق ، وتتماثل البيوت المجاورة ، مع مناطق حلفا وبيوتها ، مع مراعاة فوارق التخطيط الهندسي الجديد للمدينة ومؤسساتها . لقد اخذ الناس ـ بعد ان تم تهجيرهم ـ يتكيفون بالظروف والاوضاع الجديدة . لقد نقلوا حاجياتهم وامتعتهم وتراثهم المادي ، واخذوا تعويضات او اراضي يزرعونها .وبعد ان استرحنا بعض الوقت في احد المقاهي حيث تناولنا المرطبات ، رجعنا بنفس الطريق ، وتوجهنامباشرة الى الخزان .

كانت مناقشتنا اثناء العودة عن الظواهر الاجتماعية الهامة التي يحتمل ان تتولد بعد عمليتي التهجير والتوطين . وما الذي يمكن ان يقوم به اولو الامر ، او المهتمون بالاسكان ، لمقابلة هذه الظواهر .وقد اخبرني السيد النائب ان هناك اهتماما من جانب المهتمين بالدراسات الاجتماعية ، عدا سلطات الامن وغيرهم ، من اجل تتبع الظواهر الاجتماعية الجديدة . وتخطر لي الان فكرة لها صلة بالموضوع . فقد كان موضوع توطين اهالي النوبة ، بمصر ، هو الموضوع الذي عالجه احد ادباء القصة بالجمهورية العربية المتحدة ، فكتب قصة مستوحاة من الاحداث الواقعة ، من اجل ارساء مثل عليا جديدة في المجتمع النوبي المصري الجديد . وهنا اراني مترقبا صدور قصة ادبية ممتعة لاحد الادباء السودانيين الاماثل ، ينسجها من وحي الاحداث الواقعية المنبثقة عن توطين اهالي حلفا بعد تهجيرهم .

٢٦-٢-١٩٦٥ : ما اقسى الصخر .. وما ارحم النهر .. وبين قسوة الصخر ورحمة النهر ، يقف الانسان يتحدى القسوة ، ويتقبل الرحمة . ان الانسان جزء من الطبيعة ، ولكنه منفصل عنها ، وهو لكي يتحد بها لا بد له من انتاج ومن ابداع . والانسان لا يقتصر على ان تبدع مشاعره فنا او شعرا او تأملا ، ولكنه يبدع عندما تتوسل ارادته القوية ، بوسائل العلم الحديثة .

ونظرة واحدة من مشارف الربوة التي نقف عليها تثبت ذلك . ان

المنظر بما يشتمل عليه من عناصر ، ومن ابعاد ليبعث في المتأمل فنا ووحيا بالشعور الرقيق والجمال الخالص .ولكن ارادة الحياة المتوسلة بالقلم قد استطاعت ان تخرج من هذا المنظر مشروعا جديرا بالتحقيق ، من اجل حياة افضل ، وهذا هو الذي انموه منذ سنة ١٩٦١ باسم « مشروع خزان خشم القربة » .

تاخذ بلدة خشم القربة اهميتها من موقعهاالجغرافي على نهر عطبره ومن اجل هذا الموقع اختيرت لتكون مقرا لتنفيذ المشروع المشار اليه . ولقد كانت البلدة خلال تلك السنوات الماضية اي منذ ١٩٦١ اشبه بخلايا النحل . فقد انتقلت اليها وحدات الانشاء من مهندسين ايطاليين ، ومن عمال ومن مقاولين ، عدا الذين قدموا من مناطق اخرى من السودان ، ومن الحبشة كذلك ، لاقامة مشروعات تجاريةواقتصادية، ولادارة محال لبيع الاغذية ، والحاجيات المختلفة ، بسبب ما يتطلبه المجتمع الصناعي المؤقت الذي يقوم على خدمة المشروع .

كما انشيء بالبلدة مكتب لتوطين اهالي حلفا في المنطقة التي انشئت باسم « حلفا الجديدة » وعلى مقربة من خشم القربة . كما انشئت بعض الدور الحديثة وعددها قليل في منطقة المحطة . اما الان ونحن في مارس ١٩٦٥ فقد انفضت معظم الوحدات الانشائية ، ولم يبق منها غير ما نشاهد من الخيام القليلة التي يؤمها ما تبقى من العمال، وغير عدد قليل من المحال التجارية الهامة .

ويسكن خشم القربة من سكانها الاصليين حوالي خمسة الاف نسمة، موزعين على « حلات متفرقة» .

اما عن الخزان ، فقد استطعنا ان نتجول في اقسامه المختلفة ، وفي ابهائه الكثيرة ، وان نستمع الى شرح المسؤولين الفنيين الذين استقبلونا بالترحاب .والحق انه عمل ضخم عظيم ، يؤدي الاندوسؤدي مستقبلا وظائفه الحيوية من اجل بعث الخصب في الارض العذراء ، ومن أجل انهاض مجتمع جديد . لقد انجز منه اكثر من ٨٠ بالمئة خلال تلك السنوات منذ ١٩٦١ . وقد بلغت التكاليف ـ كما يقولون ـ اكثر من المليون من الجنيهات فعدا الوحدات الكهربية ، والتربينات الهامة، فان هناك بداخله صالات فخمة اعدت لاستقبال الضيوف ، وقد زودت ارحبها بالمقاعد الوثيرة و «بار» مشيد على طراز هندسي حديث ، اما في الصالات والحجرات المختلفة ، وفي كل درج يؤدي من طابق الى اخر ، فقد صنعت الحوائط والارضيات ، بالاحجار الرخامية الملساء الموزايك ، وبعضها مخطط ، وبعضها ملون ، بخطوط او بالوان غاية في هندسة الزخرفة والديكور . وليس عجبا ان تقوم الشركة (وهي ايطالية) بانشاء هذه الفنون المعمارية الجميلة ، انما العجب ان ينفق ببذخ ، وترف ، لاقامة متحف من العمران الجميل وتكاليفه ـ كما يقول الكتاب والصحفيون ـ احق ان توضع في المشروع الاصلي .

حديث في الثورة : اوائل ابريل ١٩٦٥ ـ ان الاحداث تمر سراعا ، والانتخابات على الابواب . وقد اخذت الاحزاب والطوائف والنقابات تتاهب لخوض المعركة الكبرى ، من اجل انتخاب اعضاء الجمعية التاسيسية (البرلمان) . والشباب المدرسي في حيرة بفضل ما تتقاذفه من اهتمامات حزبية ، واعتبارات وطنية . وقد مر اكثر من خمسة اشهر على قيام الثورة الشعبية في الواحد والعشرين من اكتوبر سنة ١٩٦٤ .

ولقد دعا اتحاد الطلاب الى حفل مدرسي وطني كبير ، مثلت فيه على مسرح المدرسة تلك الملحمة الكبرى « الاضراب السياسي » كما قدمت فنون رائعة من الاغاني الوطنية ، ومن الشعر الوطني .. تتمثل فيه الاصالة والشعور الصادق .ان ذلك الحفل ، ليشدني الى تلك الاحداث التي عاصرتها في بورسودان ، بل وينبه ذاكرتي الى احياء تلك الوقائع كانما قد حدثت منذ امس .

قبل ٢١ اكتوبر ١٩٦٤ كان الشعور الوطني معبأ .وكان الطلبة يجتمعون في منتدياتهم الخاصة . كانوا يتناقشون ويتحمسون ويقلبون الامور فيما بينهم . وكانت مشكلة الجنوب قد بلغت حد الغليان . الجامعة تعقد ندوة لبحث تلك المشكلة ، والبوليس يتدخل ويلتحم مع جماعات الطلاب في غضب جامح . ورصاصة جامحة تنطلق طائشةفتردي شهيد الجامعة « محمد قرشي » قتيلا مضرجا بالدماء . وتتحول جنازة الشهيد الى مظاهرة وطنية صاخبة تدوي فيها الحناجر بالشعارات الوطنية وبارادة الشعب وفي اثرها يعلن مدير الجامعة « فكرة الاضراب السياسي » التي تتبناها جميع الاحزاب والطوائف وهيئات الشعب عن بكرة ابيه . وتعم المظاهرات البلاد في صخب والتحام مع البوليس في أول الامر ، ثم في صورة منظمة شعبية رائعة منقطعة النظير . ثم تلي ذلك احداث القصر الجمهوري حيث يستشهد الكثيرون • ويرن صداها في كثير من المدن السودانية ويسقط شهيد بورسودان «خليفة» الموظف بالتليفونات . ثم ترغم الحكومة العسكرية السابقة على ترك مقاليد الحكم ، فيتولاها بارادة الشعب السيد سر الختم خليفة ، ويعلن فميا بعد عن تكوين الجمعية التأسيسية .

« في الواحد بعد العشرين من اكتوبر قام المارد .هب وثار ». هكذا كان مطلع الاغنية الثورية الجديدة التي سمعناها في ذلك الحفل فلقيت صدى متجاوبا في القلوب والاسماع .وقد رددتها الاذاعة مرات، فتجاوبت لها حناجر الشباب السوداني .والحق ان الفن قد تفاعل تفاعلا اصيلا ، مع الثورة الشعبية ، ولبى وجيبها في القلوب باستجابة رائعة . وليس اول على ذلك من تعبيرات الشعراء بقصائدهم التي نشرتها الصحف في تلك الايام ، وأهمها جريدتا « الرأي العام » و « الايام » . ولست املك الان ان اسوق امثلة منها . ولكن اديبا او اكثر قد يحاول في يوم ما ان يدرس فنون الشعر في تلك الحقبة التي اعقبت الثورة مباشرة ، فيؤكد بدراسته صدق الشعور ، والاصالة في التعبير ، والتزام الاديب بالمسؤولية الوطنية ، وارتفاع حساسيته الفردية لتطابق مستوى الحساسية الاجتماعية . او بعبارة اصح ان الفن بتلبيته الوجدانية قد بلور كثيرا من الارهاصات الجماعية ورفعها الى النور ، فجعل منها بالتالي هديا للمبادىء والمثل ، مبادىء ومثل الكفاح من اجل الحرية والحفاظ على الاستقلال .

وككل ثورة شعبية ، يقترن قيامها بما يواكبها من اتجاهات للتغيير والتطوير والتعديل . ومن بين هذه الاندفاعات العاطفية ، والفورات الحماسية للتغيير ، تبلورت اتجاهات تقدمية تمثلت فيها الارادةالواعية. ومن هذه الاتجاهات ذلك المؤتمر المنعقد الان في مدينة ود مدني واعني به مؤتمر المعلمين ويضم اكثر من اربعمائة من رجال التعليم وهم بسبيل المطالبة ببعض المطالب الوطنية والتربوية على اساس البحث والمناقشة ، ومن هذه المطالب تعريب المناهج في السودان (وقد اقرت الحكومة هذا المطلب بالفعل) . ومن هذه الاتجاهات ايضا ما اقره القانون من حق يعطي المراة حرية التصويت في الانتخابات ، وحرية الترشيح لعضوية المجالس النيابية .

.. وفي الوداع .. ١٧ مايو ١٩٦٥ ـ كنا ثلاثة رفقاء نزمع الرحيل ، بعد ان انتهت اعارتنا للسودان لفترة دامت اربع سنوات منذ ١٩٦١ .

وفي عصر ذلك اليوم .. وفي نادي المعلمين .. على شاطىء البحر .. اقيم حفل تكريمي من اجل توديعنا . بدأناه بتسجيل صور تذكاريـة .

ومع المرطبات واكواب الشاي المنسكبة بسخاء ، كانت هناك كلمات اكثر سخاء ، تبادلناها تقديرا بتقدير واعزازا باعزاز وشكرانا بشكـران .

وفي المساء غادرت النادي انا واولادي ـ رفيق وسميح وعاطف ـ الذين صحبوني في ذلك الحفل ، وقد عمرت قلوبنا بأجمل الذكريات، لاجمل حفل وداعي حضرناه .

واذ اختم هذه المذكرات ، بما تضمنته من صور وانطباعات ،

السراب الساخر

خلف آثار خطوات الايام
الفارقة في ديجور الزمن
حيث توغلت اقدام القلق
في دهليز مجهول مزقه الضياع
تتوالد ، في خصب ، ارض ميتة
احلامها كخيوط العنكبوت
تتشعب كاذرع اخطبوط
فقد سر قوته حين انسحق رأسه
واندلقت امعاؤه بين الصخور
احلامها ، ضخمها الوهم
فاستحالت الى جسر مرعب
يجتازه الاغبياء
الضالون وراء سراب ساخر
والحب ، جوع يتفاقم حتى الجوع
شرايينه نزت باشواق ظامئة لم ترتو
يلغ في حماة شهوة متفجرة
ماؤها صديد متعفن
يتكالب عليه الميتون
ويغرقون ... ويغرقون .

وعند حوافي الطريق
تتناثر اشلاء طفت عليها اجيال سحيقة
من بقايا الامس المنسي
ويراها الناس ، رمزا للقرف المنبوذ
فيركلونها بوحشية ، قذارة تؤذي العيون
وهي تنظر اليهم هازئة كئيبة :
نداء الماضي الصامت يتجاوب عبر الذكرى
ولكن من ينصت الى وحي الارض الميتة
الى صرخة جسد ايوب المدمى بالدمامل
الجميع يعبرون جسر الرعب من جديد
في كل يوم ، مواكب المغفلين ، تغذ خطاها
نحو حماة النار الآكلة
وتتململ الاشلاء ،
تود ان تكون حاجز الخلاص
في درب الموت والجوع
ولكن الاقدام تدوسها حانقة
ويمضون الى اللاشيء ، في صمت الابد
ويغرقون .. ويغرقون .

صموئيل عبد الشهيد

فانني اود ان اقدمها باقة متواضعة من التقدير والاجلال ، الى هيئة التدريس بمدرسة بورسودان الثانوية، بعامة ـ والى شعبةالعلوم بخاصة.

واذا كان الفضل يذكر لذويه ، فانني اود ايضا ان اخص بالذكر هؤلاء الزملاء الاصدقاء ممن تعاونوا معي في حقل مشترك ، او ممن شاركتهم بتجارب اوسع او اكثر ، او ممن حفلت واياهم بخبرات أعمق.

واعني بهم الاستاذ الكبير عبدالله احمد ناجي ناظر المدرسة ، فقد كان تشجيعه لي ، وتقديره لشخصي ، ومجاملته العاطفية في جميع الظروف التي مررت بها طوال اقامتي بالمدينة .. كانت هذه جميعا مما يرقى الى مراتب الاخوة المعنية المبددة لكل صعب والمهونة لكل تعب .

والزميل المستر ب. سالوهان رئيس شعبة العلوم والفيزيائي النابغة ، قد زاملته في اكثر من مجال علمي وانساني . كان مكتبه يجاور مكتبي ، وكان منزله يجاور منزلي .تبادلنا الاراء ، واحتدمنا في المناقشات ؛ وعركنا الصعوبات ، واشتركنا في الرحلات ، وفي المشروعات العلمية بل وفي النزهات العائلية ، فكان اخا يعرف عند الشدائد ، ورجلا يعتد بمسؤوليته وصداقته .

اما الاخ عبدالرازق سلمان استاذ الاحياء ، فقد عرف عنه الاخلاص والغيرة الوطنية يصبهما في قالب الخدمة الحقيقية نحو تلاميذه . ومن هنا فقد كانت صداقته لي تتخذ من التبادل الفكري ، بل ومن المناوشات العلمية اساسا ترتكز عليه وجداناتنا وعواطفنا .ومن هنا ايضا فقد اشتركت واياه في كل مشروع كان يراه صالحا للبحث او للعرض او للمناقشة العلمية ، وكان يوجه بنفسه هذه الطاقة النشاطية من اجل بعث الاهتمامات العلمية في قلوب تلاميذه .

ولست انسى السيد الناظر الاسبق ، الرائد الرياضي ، والاستاذ التربوي الكبير احمد ابراهيم فزع . فقد زاملنا اكثر من عام ونصف عام قبل ان يرقى منصب وكيل الوزارة المساعد ، وكنت القى منه كل عون ، وكل تأييد وتشجيع وتوجيه بل وكل تكريم .

انني أحيي في هؤلاء الاصدقاء المثل الحي للانسان الذي يرقى بشعوره بالمسؤولية ، وبعاطفته الانسانية المتحررة ، في سبيل انجاز العمل الانساني المشترك .

ذلك لان هذين العنصرين ـ المسؤولية والانسانية ـ هما الركيزة الاساسية ، بل المنطلق الحيوي لكل تفاعل انساني .

ولئن كانت الاعمال التربوية او الثقافية المشتركة في حاجة الى جو من الصداقة الخالصة تسود المجتمع وتشيع بين افراده ، لكي يتم انجازها بنجاح ، فما احرى ان تكون الصداقة بين الشعوب هي الاداة الفعالة لاقرار السلام العالمي .

« انتهت المذكرات »

شبين الكوم ـ ج٠ع٠م

اميل توفيق

كاد يلتهمها بنظراته المستطلعة الشرهـــة . عيناها خضراوان واسعتان . انهما تمثلان ربيع الشباب وربيع الجمال . وعنقها طويلة ملساء تحمل وجها جميلا جذاب الملامح حلـو التقاطيع ـ ترفعه الى اعلى لكي يتفـرج الرجال على آيات الفن الطبيعي الساحـر . وكذلك خصرها . انه طويل ـ طويل ونحيف، يرفع صدرها المتوج الى اعلى لكي يرى الشبان كيف يمتاز الصدر الفاتن على الصدر العادي. كل ما يبدو فيها يدل على انها تتمتع بصحـة ممتازة وانها سعيدة في حياتها مدللة مترفهة، لها صواحب معجبات بها ، ولها معارف مـن الرجال يثنون على جمالها .

(انها بائسة متألمة تتمنى في بعض الاحيان الموت على نفسها لتستريح وتريح . انها لا تفتقر الى الثناء على آيات جمالها ولا الـى التحدث عن محاسن جسمها . هنالك ما هـو خير من ذلك ، انها تعرف ما تفتقر اليه .)

كان ذلك الشاب الجريء لا يريد ان ينظر الى شيء غير وجهها ، ولكن اهداب عينيها ليست على استعداد لاستقبال نظراته الحادة الوقحة . كأنه لا يريد ان يتحدث عن شيء سوى جمالها وفتنتها . ولكن اذنيها ليستا على استعداد لان تتلقفا كلمات الثناء والاطراء مـن فمـه .

كان يحادث صديقه وذهنه ذاهل حالم :

ـ الا ترى عينيها الخضراوين الواسعتين ؟ لماذا لا تنظر الي ؟ هـل كل هذا كبريـاء ؟ هل انا ابدو تافها في عينيها ؟

ـ دعنا منها . انها متزوجة . الا تـــرى زوجها الذي يسير بجانبها ؟

(ماذا تستفيد من النظر اليها والتحديق في محاسن جسمها ؟) .

ـ هل ذلك الشيخ الدميم زوجها ؟

(انه لا يستحق ان يكون اباها . كيـف رضيت به تلك الحسناء زوجا لها ؟ وكيـف اجترأ ان يتخذها زوجة له ؟) .

ـ اجـل .

ثم ابتسمفوزي ابتسامة حازمة ، وقـد توقع ان يرد عليه زياد بابتسامة مثلها ، ولكن وجهه نضح بشيء من النفور والعبوس .

والتفتت اعتدال الى يمينها التفاتةموجزة. فشعر زياد انها التفتت اليه . فابتسم ابتسامة الراحة والطمانينة، وامتلأ رأسه بافكار سارة:

(اصوات من الداخل : انني اهواك بـل اعبدك . انا الوحيد الذي يفهم آيات جمالك فهما صحيحا تاما . لو انني اصبحت زوجـا لك لاحطتك بجميع الوان السعادة والهناء . اتركي ذلك الشيخ الفاني . انبذيـه ! ان قلبي فتي كقلبك ، وان جمالك الفاتن فـي حاجة شديدة الى ندى اعجابي وتقديـري ليتفتح في جو من السعادة والغبطة) .

(منظر في الداخل : تقبـل عليه اعتـدال في ابتسام ، فيمسك يدها في رقة ويجذبها اليه ، ثم يقبلها في قوة ، وبعد ذلك تضع يدها في يده ويسيران في مرح وسرور بيـن ازهار تؤلف الوانا تدخل البهجة على نفسيهما، وتنشر عبيرا ينتشي به ذهناهما) .

توقف فوزي عن السير فجاة وقال لصديقه:

ـ كفى ! كفى ! ينبغي لنا ان نرجع .

(لقد فضحتنا ولفت نظر المارة الينا) .

فقطب زياد وقال :

ـ نرجع ! لماذا ؟ دعنا نستمر على السير .

(لو ظللت اسير في هذا الاتجاه طول حياتي لما مللت ولا شعرت برغبة في العـودة) .

فامسك فوزي بيد صديقه ، واجتذبه اليه في قوة ، وقال بنفحة حازمة آمرة :

ـ يجب ان نعود . الا تفهم ؟

(ماذا جرى لعقلك ؟ لا تدع النساء يسيطرن على عقلك بجمالهن . ان الجمال زائل) .

الثمرة النائية

بقلم عبدالحميد الانشاصي

وعاد الصديقان . وكان زياد يتلفت وراءه من حين الى آخر متتبعا خطوات اعتدال . وجدها مستمرة على السير في الاتجاه الذي كان يسير فيه من قبل . وبذلك ابتعدت عنه ، واخذت تختفي عن نظره شيئا فشيئا . ولكنها لم تختف عن ذهنه ما زالـت ماثلـة فيه وهي تنظر امامها بعينيها الخضراوين وهو يسرح نظراته المعجبة في وجهها وقوامها في ذهول .

كانت اعتدال تسير مع زوجها دون ان تحادثه او يحادثها . حط الصمت الكئيب على ثغريهما،واطبق بجناحيه على شفتيهما. لم يكن كل منهما في حاجة الى سماع صوت الآخر على الرغم من سيرهما بين حدائق غناء وسهول معشبة . ان ما حولهما من مناظر طبيعية جميلة يستريح اليـه النظر وتنتعش بـه النفس ، ولكن نظرات الزوجين كانت لاهية عـن تلـك

قصة

المناظر . كانتا مشغولتين عنها . كانت آذانهما تصغي في صمت وانتباه الى حديث نفسيهما الداخلي :

(اصوات من الداخل : مـاذا افعل لـك ؟ هكذا قدر علي . وهذا نصيبك . انا لا امانع في الانفصال . لتنفصل ان كان في الانفصال راحتك وهناؤك . ـ انني حيران . لســت ادري ماذا افعل . يخيل الي انني سابقـى شريكا لك في حمل ثقل الهموم حتى نهايـة حياتـي .)

* * *

كـان زياد وصديقه جالسـين فـي مقهى العائلات . وكانت بركة المقهى ممتلئة بالمـاء الذي كون من غيث الفوارة . وكانـت كراسي المقهى موزعة على العرش . في كل عريشة اربعة كراسي . وقد سحبت الشمس شبكة اشعتها الفاترة عن وجه الارض تاركة الكائنات في يم من الهواء اللطيف الذي بدأ يصطبـغ بلون الماء الرصاصي .

وقد جلس في بعض العرش اسر صغيـرة الواحدة منها مؤلفة من زوج وزوجة واولاد او بدون اولاد .

اجال زياد بصره في تلك الاسر الصغيرة باحثا عن معبودته اعتدال ولكنه لم يعثرعليها. لقد شعر بحاجة شديدة الى رؤية وجههـا والانس اليها بين الجلوس من الناس .حتى لو جلست بعيدة عنه يشعر انها قريبة منه . شوقه اليها وانصباب نظراته عليها يقربانـه منها . اذا لم تكن زوجته فهي حبيبته . حسبه ذلك . كان قد صادفها مرارا وهي جالسة مع زوجها في المقهى . وهو الان يتوقع ان تدخل المقهى مع زوجها وتجلس في آحد العرش . كان طول الوقت في انتظارها . وكان من حـين الى آخر يشرئب نحو الطريق الممتدة امام المقهى باحثا بعينيه القلقتين عنها . ولكـن عينيه لم تقعا عليها .

وأخيرا قدمت . قدمت هي وزوجهـا . لا يفارقها مع انه لا يشعر بالسعادة والهناء وهي بجانبه . بدا وجهها الجذاب كفاكهة بـين ازهار المقهى فانسجم معها كما تنسجم الفواكه مع الازهار المتفتحة على الغصن . ولاحقتهـا عينا زياد حتى جلست هي وزوجها في عريش . اخذت تنظر الى البركة فيشيء من الاستطلاع. مناظر الجلوس تسر النفس وتبهج الصـدر . وكذلك المناظر الطبيعية المؤلفة من البركـة والازهار والاعشاب المتسلقة على العرش . كل شيء متفتح : الازهار وافواهالجلوس المتحدثين وعيونهم الناظرة ، وكذلك نفوسهم المبتهجة . ولكن شيئا دفينـا فـي صدر اعتدال صرف نفسها عن تلك المناظر وان لم يصرف عينيهـا عنها . لذلك القت على الاشياء المتفتحة نظرات

ذابلة مغمضة .

(بدت لها الازهار ذابلة مطرقة ، والبركة خالية من الماء ، ووجوه الجلوس كئيبة عابسة ، وافواههم مطبقة الشفاة كفمها وفم زوجها . وشعرت بنفسها تنوء بها تلك الاعباء من المناظر الثقيلة) .

ـ فوزي ! انني استغرب ذلك الصمت المخيم عليها وعلى زوجها . أنا لا افهم سر ذلك الصمت . ترى ما سببه ؟

(لا شك أنها تبغض زوجها . انهما ليسا منسجمين مظهرا ولا مخبرا) .

ـ سببه واضح . تنافر القلبين .

(انها شابة وهو شيخ . انها جميلة وهو دميم) .

ـ ينبغي له ان يتحبب اليها ويبتسم لها لانها ضحت بشبابها وجمالها من أجله . وهو في حاجة اليها . أما هي فلا .

(ان هذا الشيخ يغيظني . يغيظني بجموده ورزانته وصمته ، لو كنت في مكان زوجته لانفصلت عنه واسترحت من شره) .

ـ دميم وجامد في آن واحد .

ـ لو انها جالسة وحيدة لشعرت بشيء من السعادة او بشيء من هدوء النفس على الاقل . لا شك ان اباها ارتكب جرما بموافقته على زواج ذلك الشيخ بها .

(اصوات من الداخل: قم يا لئيم ! لو كان لديك شيء من الكرامة لانفصلت عن زوجتك وتركتها لمن هو اولى بها منك . ان هذا ظلم لا يصبر عليه احد) .

(منظر من الداخل : يركل زياد الزوج بقدمه في قوة ، ثم يهوي عليه بلكمة صاعقة على صدغه ، فيقع طريحا على الارض . وتلتقي عينا اعتدال وعينا زياد بنظرة طويلة عميقة) .

التفت الزوج الى اعتدال قائلا في ابتسامة خفيفة :

ـ ان جلستنا حلوة هنا فانني أشعر بانتعاش من الحر .

فقالت اعتدال مسايرة بابتسامة خفيفة ايضا وهي تنظر الى زوجها من مؤخر عينيها :

ـ اجل . وأنا ايضا اشعر بانتعاش كأننا في مصيف جميل .

فضحك فوزي ضحكة مدوية ، ثم قال لصديقه :

ـ انظر يا زياد . انهما يتحدثان . عجيب ! كيف جرى ذلك ؟ لقد ابتسم كلاهما الى الآخر . الم تلاحظ ذلك ؟ انهما سعيدان .

(لقد كنا واهمين حينما ظننا انهما ليسا على وفاق) .

فهز زياد رأسه في تألم واجاب :

ـ لقد لاحظت كل حركة صدرت عنهما ، وسمعت باذن مخيلتي كل كلمة فاها بها . الحق انك مغفل لا تفهم من طباع النساء شيئا) .

ـ ماذا قالا ؟

ـ شيئا لا يقال .

(انني ادرك منك بهذه الاشياء . انك طفل في المعرفة النسائية) .

ـ قل . ما هو ؟

فتنهد زياد ، ثم ابتسم في دلال ، واجاب بفم مائل :

ـ قال الزوج لزوجته عني : « ان هذا الشاب يحدق فيك كثيرا » . فقالت الزوجة في دلال : « لعله معجب بي » . ثم قالت في نفسها : « يا حبيبي ! متى نلتقي وابثك لواعج قلبي ؟ » .

فاطلق فوزي ضحكة رنانة ثم قال :

ـ لا شك انك مغرور بنفسك . انك لم تخطر ببالها ابدا .

ثم نهض قائلا :

ـ قم ! لقد اطلنا المكث في هذا المقهى . انني اخشى ان يجري لعقلك شيء ـ (مجنون !) .

ولكن زيادا لم يتحرك . فالح صديقه عليه . غير انه لم يظهر رغبة في النهوض . فتركه فوزي قائلا في سخط مكتوم :

ـ ابق في مكانك . انني ذاهب .. ثم انصرف .

***

تبعها منذ صادفها في الطريق . سارت اعتدال وحدها تخطر في دلال واغراء . وسار زياد وراءها مثبتا نظره فيها ومراقبا كل حركة تصدر عنها كان مغناطيسا خفيا اجتذبه اليها . مرا ببستان من المشمش ثم ببستان من البرتقال . وكانت السيارات تمر بهما في سرعة دون ان يلتفت زياد اليها او يفكر فيها . ثم مرا ببائع حلوى سمسمية ، تتمنى زياد لو انه اشترى منها قطعتين فقدم الى صاحبته قطعة ، واحتفظ لنفسه بقطعة . وقد سمع صوت بائع شراب الخروب ينادي بصوته الجهوري الرخيم من بعيد . ومر به غلام راكب دراجة عادية ، ثم مال اليه لجهله في السوق ، فكاد يصطدم به . ولم ينتبه زياد اليه الا حينما احتكت عجلة الدراجة ببنطلونه احتكاكا خفيفا اذ كان طول الوقت ذاهلا يفكر فيها .

وكان كلما اقترب من اعتدال انتبه لنفسه وابتعد عنها قليلا لئلا يلاحظ الناس انه كان يتبعها . وكانت هي تشعر انه يسير وراءها ، غير انها لم تبد من الحركات ما يشجعه على ملاحقتها وان كانت تشعر بزهو وغبطة من اعجابه بها وافتتانه بحسنها .

« الى أين انت ذاهبة يا حبيبتي ؟ اين زوجك ؟ لماذا لم يرافقك ؟ ان هذا لم يكن من عادتك . هل نشأ خصام بينك وبينه ؟ انني أعلم انك لا تطيقين رؤيته والاستماع الى حديثه . لا شك انك تنفرين من شيخوخته ودمامته . انه لا يصلح لك زوجا . لست ادري كيف رضيت به زوجا . أغني هو ؟ ولكن ثروته لا تغطي ما فيه من عيوب ولا تعوض عن خسارة شبابك وجمالك من أجله . أريد ان انقذك . أريد ان اسعدك . ما اجمل قوامك ! وما ارشق هذه المشية ! ان موسيقى خطواتك الخفية تترك في قلبي اثرا ارق واحلى من الاثر الذي تتركه الالحان التي تبعثها انامل حسناء على البيانو . لا شك انك تدركين انني أتبعك وان كنت لا تلتفتين الي . انني الاحظ انك تتفننين في اظهار فتنة مشيتك وحلاوة حركاتك . هذا ما جعلني أوقن أنك تشعرين بانني أسير وراءك » .

(منظر من الداخل : يقترب منها ثم يحاذيها ويلقي عليها التحية . فترد عليه بصوت منخفض حيي . ثم ينظر اليها في ابتسام خفيف . وتنظر اليه في ابتسام مماثل ، ويحادثها بصوت ينوء به ثقل من الخوف والخجل ، وهي تصغي اليه في رضى واعجاب وتشجيع .)

« ما بالك تلاحقني ايها الشاب ؟ لقد قطعت مسافة طويلة وانت تسير ورائي . ماذا تبتغي مني ؟ انني متزوجة . ولا شك انك تعلم ذلك ، فقد رأيتني مرارا ماشية او جالسة مع زوجي . دعني وشاني . ابتعد عني . انصحك بألا تفكر في لا لانني متزوجة فحسب بل لانني لا أصلح لك زوجة . ان الفتيات الحسان في الدنيا كثيرات . فاختر لك واحدة منهن وتزوجها . انني لا ارضى لك ان تعذب نفسك من اجلي . لقد لاحظ الناس أنك تتبعني . فماذا يقولون عنا ؟ هل ترضى ان تحاك حولنا فضيحة ؟ عد من حيث اتيت ان ذلك خير لك » .

(اصوات من الداخل : اقترب مني يا حبيبي ! تعال الي لاتأمل وجهك جيدا ، فقد رأيتك من بعيد وأريد الان ان اراك عن كثب . لقد احببتك منذ وقع نظري عليك لاول مرة ، ولست ادري لذلك سببا . لقد اصبحت قوية الامل في الحياة . اشعر ان نفسي بدت تنتعش وان قلبي بدأ يترعرع . كل ذلك من اعجابك بي وحبك اياي) .

(منظر من الداخل : تميل الى منعطف وتسير في ممر ضيق تظلله فروع الاغصان المتشابكة ويهب عليه عبير الاشجار . فيلحق بها زياد ويلتفت اليها مبتسما . فتتابط ذراعه وتسير معه في ابتهاج ومرح ، ويحادثها حديثا حلوا لم تتعود ان تسمعه من زوجها) .

ولكنها لم تعرج على ممر ضيق بل ظلت سائرة على الطريق العام . وكلما توغلت في الطريق قل عدد المارة من الناس . غير انها

بسمة

هاتها من فم القدر — بسمة تفتن البشر
يفرح القلب سحرها — فرح الروض بالزهر
انما الحظ خلسة — فاغتنم منه ما بدر
هذه الدنى — كلها منى
والمنى غرر

أهل الدهر ما طغى — لا تخف منه ان بغى
وادرع بابتسامة — تحرز النصر في الوغى
لم يجند غير من — لاذ بالهزء والسخر
عش لحربه — لا تشق به
طالما غدر

امس كالحلم أدلجا — عوده ليس يرتجى
وغد من ضميره — لم ير الغيب مخرجا
فابتغ اليوم كل ما — تشتهي ، دون ما حذر
رو بالامل — فسحة الاجل
تصرف الكدر

دغدغ الناي ، واعزف — لحن هيمان مدنف
واسقني قبل صحوتي — ريق سلمى ، وأسرف
فندامأي أكؤس — راحها تخطف البصر
رحمة الصمد — صاح لا تحد
كم وكم غفر

صيدا ـ لبنان — محمد العدناني

لم تبد من الحركات ما يشجع زيادا على الاقتراب منها وبث غرامه اياها . انها ما زالت نائية عنه بجسمها ونفسها . وكانت نفسها تتقطع بين الامل واليأس ولوعة الحب وبرودة الواقع .

وفجاة شعرت اعتدال بضعف عام يغزو جسمها . بدات اعصابها تسترخي والدم يختفي من وجهها . فامتلا قلبها خوفا ، وندمت على خروجها من المنزل وحيدة دون ان يرافقها زوجها في مسيرها . لو أنها انتظرت حتى يعود زوجها من عمله من الحانوت الى المنزل لكان ذلك خيرا لها . والان ماذا تصنع ؟ كاد الضعف يقيد رجليها . سلبها تلك المشية الموسيقية الرائعة . وقد لاحظ زياد انها اخذت تترنح في مشيتها ، ولم يدر لذلك سببا . استغرب ذلك الضعف الذي حل بها .

اخذت تحس بالم في صدرها ، فانتفضت هلعا . انها النوبة ـ النوبة التي تعودت مفاجاتها من حين الى آخر . فماذا تصنع ؟ الى اين تذهب ؟ انها ان عجزت عن الوقوف افتضح امرها ولم تجد كرسيا تجلس عليه . هناك حجارة قائمة على الطريق . هل تجلس على احدها اذا اضطرت الى ذلك ؟

ازداد الالم نخسا في صدرها ، فاخذت تسعل سعالا قويا متواصلا . ثم ارغمت على الانحناء على خندق الطريق ، وفاض الدم من صدرها . دم غزير ملتهب . وخف زياد اليها في هلع واستغراب ، ثم امسك ذراعها وكتفها بيديه في جراة . والقى نظرة على الدم اللامع على الارض وعلى وجهها ، فبدا له وجها آخر غير وجه تلك الحسناء الفاتنة . كان اصفر ذابلا . قال لها في تحسر :

ـ ما بك ؟ (مسكينة !) .

فاجابت بصوت ضعيف زائغة البصر :

ـ لا شيء . (اكاد اموت) .

ـ أمريضة انت ؟

ولكنها لم تجب . (اشكرك) .

ـ ارى ان اذهب بك الى المستشفى .

استمعت الى كلامه في صمت . وحينما اقتربت منهما سيارة اشار لها فتوقفت . ودخلت اعتدال في السيارة متحاملة على نفسها بمساعدته . وانطلقت السيارة نحو المستشفى .

وفي مستوصف الطبيب فحصت اعتدال في دقة . وقالت الممرضة للطبيب على مسمع من زياد :

ـ ما بها ؟

فاجاب بصوت منخفض :

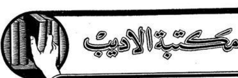
ـ سل .

فمال زياد برأسه الى جانب ، والقى على الارض نظرة منكسرة حزينة وقال في نفسه :

ـ مسكينة ! لم يخطر في بالي انها مسلولة . وزوجها المسكين . لقد ظننت انه ظلمها بتزوجه بها . ومع ذلك فانني احبها وان كنت يائسا من التزوج بها . ليت في امكاني ان اسعدها ! ليت في امكاني ان انقذها !

وخرج من الغرفة في يأس وذبول .

عمان — عبد الحميد الانشاصي



فـــن الترجمـــة

تاليف محمد عبد الغني حسن ـ ٢٤٠ صفحة ـ قطع متوسط ـ نشر الدارالمصرية للتاليفوالترجمة بالقاهرة مطبعة دارالثقافة العربيةبالقاهرة

عرفت الاديب الشاعر محمد عبدالغني حسن منذ كنا تليمذين فيعنفوان الشباب ، ننهل من الاداب والعلوم ، ونتطلع الى مستقبل باسم ، يحدونا الامل الكبير ، ويبعثنا على الجد والنشاط للوصول الى حياة ثقافية رفيعة .وكان هو قد احب الشعر كما احببته ، ثم وجد في تشجيع جريدة الاهرام وقرائها في جميع الاقطار العربية ما جعله يحرص على تجويده ومكانته البليغة ، حتى لقب بشاعر الاهرام ، ثم كاد الشعر يملا وقته ، ويصرفه عن كل شيء سواه . ولكننا ما لبثنا ان وجدناه وهو المعلم الناجح ، يوسع دائرة نشاطه ، ويختار تعليم اكبر عدد من القراء في تلك المدرسة الكبرى ، مدرسة النشر والتاليف والترجمة والصحافة .ورايناه قلمه البليغ يجول في هذا الميدان جولات بليغة بارعة ، لا تقل عن جولات شاعر الاهرام في الشعر ، بل قد تزيد عنها بما تناوله من مختلف الموضوعات والابحاث العلمية والادبية ، وبما الفه من كتب باللغة العربية ، وبما ترجمه عن الانجليزية والفرنسية .

وامامنا الآن مؤلفة الاخير «فن الترجمة في الادب العربي» . وهو كتاب جديد في موضوعه ، جديد في بحوثه ، بل لعله اول كتاب في هذا الفن . فلا نعلم ان كتابا قبل هذا الكتاب عالج « فن الترجمة » علاجا علميا وتاريخيا وفلسفيا ، وبحث بحوثا مستفيضة في مذاهبها وقواعدها ، وشروطها ، وانواعها والفاظها وميادينها . وانما الذين تناولوا الترجمة منذ القدم حتى اليوم ، لم يتناولوها الا من حيث ممارستها ومعاناتها . او من حيث تاريخ التغيير والتجديد فيما ينقل الى اللغة العربية من الالفاظ والاسماء والتراكيب الاعجمية في مختلف عصور الجاهلية والاسلام ، كما فعل العلامة جرجي زيدان فقد وضع كتابا عن تاريخ اللغة العربية باعتبارها كائنا حيا ، تناول فيه تاريخ هذه اللغة من اقدم ازمانها الى ظهور الاسلام ، وما تلاه في عصر بني امية والعصر العباسي الاول . وقد اورد فيه امثلة من ترجمة الالفاظ الاعجمية وما دخل اللغة العربية من اللغات الفارسية ، والحبشية ، والهندية ، والهيروغليفية ، واليونانية ، وما وضع فيها من الفاظ جديدة اقتضته العلوم الشرعية والفلسفية او ما دخلها من الالفاظ الادارية التي اقتضاها التمدن الاسلامي عند انشاء دولة العرب . وهي اما دخيلة او مولدة او معربة . ولم يتناول جرجي زيدان في كتابه الترجمة كعلم وفن له قواعده وشروطه وحدوده ..!

نعم اشار ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وصلاح الدين الصفدي ، اشارات موجزة لقواعد الترجمة وشروطها ومذاهبها ، ولكنهما ـ كما يقول المؤلف الفاضل ـ لم يكابدا الترجمة ، ولم يقوما بها ، لانهما لم يعرفا غير العربية. اما المترجمون المعاصرون بعد قيام حركة الترجمة ، فقد قال بعضهم شيئا ، وسكت بعضهم . على ان الكاتبين منهم لم يكتبوا الا اشارات او مقالات قصيرة متناثرة .. !

لذلك كان قيام الاستاذ محمد عبدالغني حسن بوضع هذا الكتاب، خدمة جليلة للغةالعربية التي خلت من امثاله.

وقد صرف العزم منذ زمن الى معالجة موضوع فن الترجمة في الادب العربي . ولم يحاول ان يكتب تاريخا لحركة النقل والترجمة او حديثا عن النقلة والمترجمين . فهذا ميدان وذاك ميدان. وقد قرا الكثير من المراجعوالمصادر في العربية والانجليزية والفرنسية والمجلات الادبية.

والحق ان المؤلف قد الم بموضوعه كل الالمام . وقسمه الى ستة عشر فصلا ، منها على سبيل المثال لا الحصر : « بين الترجمة والتعريب » . « فن الترجمة بين الجاحظ والمقدسي » .«شروط الترجمة عند المعاصرين والمحدثين». « الترجمة بين الزيادة على النص والحذف منه ». « الترجمة بين التلخيص الكامل والاداء الكامل ». «ترجمة الكتب المقدسة». «ترجمة القرآن» . «تعدد الترجمات» . «مذهب الترجمة بين الدكتور يعقوب صروف والاستاذ احمد حسن الزيات» الى اخر هذهالفصول.ونود ان نلاحظ فيما رواه من رأى استاذنا الاديب احمد حسن الزيات في الترجمة ومذهبه فيها انه ينحو نحوا لا نراه ترجمة لنص اجنبي ، بل هو تاليف جديد مقتبس من نص اجنبي.فهو يقول عن ملهبه وطريقته في الترجمة :

« .. فانا انقل النص الاجنبي الى العربية نقلا حرفيا على حسب نظمه في لغته ، ثم اعود فاجريه على الاسلوب العربي الاصيل ، فاقدم واؤخر دون ان انقص او ازيد . ثم اعود ثالثة ، فافرغ في النص روح المؤلف وشعوره باللفظ الملائم ، والمجاز المطابق ، والنسق المنتظم .فلا اخرج من هذه المراحل الثلاث الا وانا على يقين جازم بان المؤلف لو كان كتب قصته او قصيدته باللغة العربية ، لما كتبها على غير هذه الصورة .ومن هنا كانت الترجمة على هذا النحو اشق واتعب .. »!

نعم هي اشق واتعب ، لانه يتكلف ان يؤلف لغيره في اللغة العربية من نص اجنبي تصرف فيه تصرفا من ذات نفسه ، لا من ذات كاتبه ، ومن ذات روحه وعواطفه ، واخيلته ، لا من ذات روح صاحب النص الاجنبي ولا من ذات عواطفه واخيلته.. ونحن نسال الاستاذ الزيات ، لو ان مترجما اجنبيا ترجم احد مؤلفاته بهذه الطريقة التي يترجم هو بها النصوص الاجنبية ، هل يرضى عنها ، او هل يستطيع ان يقول انها تمثل نص كتابته وروح اسلوبه واخيلته وعواطفه ؟! صحيح ان اسلوب الاستاذ الزيات انيق في الفاظه بليغ في عبارته . سواء اكتب قصصه وموضوعاته باللغة العربية ام نقل اليها من الفرنسية ، ولكن طريقته في الترجمة هي اشبه بالتاليف والانشاء الجديد ، بل هو تاليف مستمد من لغة اجنبية، وليست ترجمة بالمعنى الفنيللترجمة!

وليست طريقة الزيات تدخل في باب التطويع اي تطويع اللغة العصية لقبول المعاني الاجنبية .وهو في نقله عن الفرنسية كالمرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي في قصص مجدولين ، والفضيلة ، والشاعر ، وسائر ما انشاه نقلا عن اللغة الاجنبية . فقد فعل المنفلوطي ما فعله الزيات مع فارق قليل ، فانه انشا والف غير معتمد على ذات نفسه بل معتمد على ذات غيره ، وقد زاد من عواطفه واخيلته وتصويره ما لم يكن في النص الاصيل ، وما يتفقواسلوبهوتفكيرهفي الانشاءالعربي.

واذا كانت مهمة المترجم ـ كما يقول المرحوم الاستاذ عادل زعيتر ـ ليست نقل العبارة الاجنبية الى العربية ، فان المهمة الاولى ان ينفذ الى روح الكاتب ، ويفهم شخصيته تمام الفهم حتى يستطيع ان يترجم نصه ترجمة صحيحة .وقد اشار الاديب الكاتب الاستاذ وديع فلسطين الى ذلك ، فقال : «...فلن يتسنى للقارىء ان يكون فكرة صحيحة عن كاتب ما الا اذا روعيت الحرفية الدقيقة في ترجمة آثار ذلك الكاتب دون اخلال بروح النص فضلا عن حرفه ».

والاستاذ وديع فلسطين لا يريد بالحرفية الا يتصرف المترجمتصرفا

تجيزه الترجمة الفنية ، بل يريد المحافظة على اغراض المؤلف الاصلي وروحه ودقائق النص .ولذلك لا يرى فيما كتبه في كتابه « قضايا الفكر» ان يزيد المترجم على النص الاصلي او يحذف منه الا لاعتبارات خارجة عن الترجمة .

ونحن لا نعارض الاسلوب الفصيح فيما ينقله الاستاذ الزيات وامثاله من كبار الكتاب ، ولكننا نريد ان يراعي المترجم حق المؤلف في آثاره وامانة الترجمة ، فمن حق المؤلف ان يرى افكاره وعواطفه واخيلته منقولة نقلا لو قراهالعرف انها هي افكاره وعواطفه واخيلته ، وانها من ذات نفسه ، لا من ذات غيره ، وانها منقولة نقلا امينا لا زيادة فيه ولا نقص ، ولا تصرف يكاد يذهب بمعالم تاليفه .وحينئذ يطمئن الى مثل هذه الترجمة لاثاره التي لا تنسب الى غيره ، ولا تنقل نقلا يذهب بافكاره ومعانيه وأوصافه ، ويستعمل فيها اوصاف القدماء العرب ، واخيلتهم واساليبهم الفخمة ..!

ولعل البستاني في ترجمته لالياذة هوميروس كان اكثر امانة في النقل ، واجدر بان تسمى ترجمته ترجمة فنية ، فقد ترجم الالياذة شعرا بديعا ، وحرم على نفسه الزيادة والنقص ، كما حرم التقديم والتاخير الا فيما اضطره اليه تركيب اللغة العربية . وقد اشار الى طريقته في الترجمة في مقدمة الالياذة وحمل فيها على المترجمين الذين يبيحون لانفسهم الزيادة والنقص ، والتصرف في النص الاصلي تصرفا مطلقا ، فقال انهم تجاوزوا منهج الصواب في الترجمة ، « فاجروا قلمهم ، بل هو جرى بهم مطلق العنان يجد ما يريد دون ما ارادالواضع، فمن متصرف بالمعنى يزيد وينقص على هواه ، فيفسد النقل ويضيع الاصل ، ومن متسرع يضن بدقائق من وقته للتثبت من مراد المؤلف ، فيلتبس عليه فهم العبارة ، فينقلها على ما تصورت له لاول وهلة ، فتنعكس عليه المعاني على كره منه ، ومن ماسخ يلبس الترجمة ثوبا يرتضيه لنفسه ، فينقلب بالمعاني على ما يطابق بغيته ، ويوافق خطته، حتى لا يبقى للاصل اثرا .ومن عاجز يجهد النفس ما استطاع ، وهو ان اجهدها ما شاء غير كفء لخوض هذا العباب .لم يقوم هؤلاء الكتاب ، ويسمون ما كتبوا تعريبا . واولى بهم ان يسموه تضمينا او اختصارا او معارضة .. »

وقد روى صديقنا مؤلف فن الترجمة «ان الدكتور طه حسين وصف في مقال له ترجمة المرحوم زعيتر لكتاب اميل لودفيج عن « نابليون » بانه تلخيص له لا ترجمة فنية وافية ، لان المترجم كما قال في ترجمته استخلصه من عدة ترجمات فرنسية وانجليزية وتركية ..!

ونحن حين نشير الى تحريم الزيادة والنقص او التصرف المطلق في النص الاصلي لا ندخل في اعتبارنا الحذف من النصوص التي تتضمن بعض المطاعن او المثالب التي يوجهها ذوو الاهواء من المؤلفين الاجانب سواء اكانت مطاعن في الدين ام في غيره . وترجمة مثل هذه النصوص بحذف هذه المطاعن تعتبر تلخيصا لها ، لا ترجمة فنية كاملة. ولا شك اننا نوافق صديقنا الاستاذ المؤلف فيما وجهه من نقد لترجمة شاعر الاقطار العربية مطران لبعض روايات شكسبير ، فقد ترجم هذه الروايات عن الفرنسية لا عن الاصل الانجليزي ، فكانت ترجمة لم تسلم من بعض المآخذ المهجورة او التي كالمهجورة .!

وقد اشار المؤلف في فصل عنوانه : «لماذا نترجم» الى ان عامل الحاجة الى الترجمة هو الذي يدفع المثقفين من ابناء الامة اليهاليزيدوا من ثروتها العلمية والادبية .وضرب لذلك مثلا بما دفع العباسيين في عصر المهدي ومن خلفه من خلفائهم حتى عصر المأمون الى ترجمة كتب الطب والفلسفة والمنطق والرياضيات وسائر العلوم التي لم يكن للعرب عهد بها من قبل . ولهذا لم يترجموا وقتئذ الكتب الادبية ، لان اللغة العربية غنية بأدبها ، وان كانوا ترجموا قليلا من ادب الفرس والهند ، اما الادب اليوناني ، فقد اعرضوا عن ترجمته ، لان فيه ذكرا للآلهة التي يحرمها الاسلام ..غير انه في القرون المتاخرة ، وخاصة القرنين التاسععشر والقرن العشرين،اقبلوا على ترجمة الادب اليوناني وغيره من الآداب الاجنبية ، لانه اصبح للترجمة دافع جديد ــ فضلا عن دافع الحاجة الى العلوم ــ وهو ما عبر عنه الكاتب الناقد «علي ادهم» الذي قال ان الترجمة قد اصبحت مسألة جوهرية في التفاهم الدولي والتقارب الاممي وهو قول وجيه ، ولغتة انسانية مهمة تدعو الىالترابط والتفاهم الانساني الرفيع .

وقد تحدث المؤلف في « ترجمة الشعر » وروى قول الجاحظ في تحريم نقله.لان الشعر العربي اذا حول الى لغة اخرى ذهب عنهجماله، وضاع موضع الطرب فيه بضياع اوزانه وموسيقاه التي يمتاز بها عن كل كلام سواه . وقد اعترض المؤلف على هذا الراي ، وقال فيما قال في هذا الفصل : « ووجه صعوبة ترجمة الشعر عند الجاحظ هو ذلك الوزن العربي الخاص بهذه التفعيلات.والحق ان كلامه في ترجمة الشعر وتعذر نقله لا يرد على ترجمة الشعر العربي الى لغة غير العربية وحسب، بل هو وارد على اي شعر يراد ترجمته من لغة الى لغة اخرى . وحظر ترجمة الشعر ، والذهاب الى عدم جواز نقله هو اعسار لعملية كان يجب ان يمهد لها بالتيسير على اسهل الوجوه . وهو في الوقت نفسه حرمان كبير للتراث الادبي من كنوز يجب الا يحجر عليها .. »

ولا شك ان هذا رأي صواب فان حظر ترجمة الشعر حرمان للادب سواء أكان عربيا ام اجنبيا من كنوز من الفن الانساني البديع الذي يصور اجمل العواطف واسمى الاخيلة وابدع الاحلام . غير اننا نرى انه لا يجوز لمترجم ان يترجم الشعر الا اذا كان شاعرا او خبيرا بالشعر في اللغة التي يترجم منها واللغة التي يترجم لها ، لان للشعر اسلوبا غير اسلوب النثر ، ولان له ذوقا وشعورا غير ذوقه وشعوره . فاذا اقدم مترجم شاعر ، او له ذوق الشاعر واحساسه ، وان لم يكن قد نظم شعرا ، فان ترجمته تكون اقرب الى النص الاصلي وفي الوقت نفسه تضيف ثروة جديدة الى الادب ، ولو كانت الترجمة بالاسلوب النثري .ولكنها تحمل روح الشعر ، وجماله . اما اذا ترجم شعرا مترجم لا صلة له بالشعر في اللغة التي يترجم منها ، ولا في اللغة التي يترجم لها ، فان ترجمته لا ريب سوف تشوه النص الاصلي ، وتجني على صاحب هذا النص. وقد نقل المؤلف في هذا الفصل امثلة، من ترجمة الشعر شعرا ، والشعر نثرا لمترجمين شعراء او كالشعراء تؤيد ما نقول ، وتشجع على ترجمته من اللغة العربية وترجمته اليها.!

ولا نستطيع ان نستوعب فصول هذا الكتاب النفيس . وحسبنا ان نختم هذه الكلمة بما كتبه المؤلف في نهاية الفصل الذي كتبه في «ترجمة القرآن» . وهو من المعارضين في ترجمته ، فقد قال : «ويشاء الله ان تكون وساوس انصار عدم ترجمة القرآن ــ او ترجمة المعاني كما يقولون ــ في محلها ، فقد كانوا يخشون ان يكون جوازا لترجمة سبيلا ، الى التصرف الذي يكون مزلقة الى التحريف . وقد يتصرف المترجم حتى تكون الترجمة شيئا آخر غير القرآن ، كما كانت ترجمة فتزجرالد لرباعيات عمر الخيام شيئا آخر غير الرباعيات . مهما كانت هذه الترجمة جميلة او بليغة في اللغة المنقول اليها .. وهنا يصبح قرآن اصلي ، وقرآن بتصرف ، وقرآن مختصر ملخص ، وقد يكون هنا قرآن محرف .. وليس في هذا مبالغة ولا افراط في التحوطوالتهون. فقد ظهرت اخيرا جدا ترجمة انجليزية امريكية موجزة مختصرة ملخصة ناقصة السور مرة ، وناقصة الآيات مرة اخرى ، محلاة بلوحات مصورة ملونة فاتنة .وكتب على غلافها بالخط الكبير « القرآن » !.. ولو استحى ناشرو هذه الترجمة الاميركية من هذا العبث الاميركاني الصغير على طريقتهم في مسخ الاصول ، والاستهتار بالعقول ، لاسموها : تلخيص القرآن . لو جاز على كتاب الله الكريم ان يختصر او يلخص بهذا الهوان » ! ..

وبعد ، فهذه فقرات يسيرة من افكار الاستاذ المؤلف وابحاثه وتحقيقاته في هذا الكتاب النفيس ، الذي تضمن ستة عشر فصلا في

مائتي وثلاثة وثلاثين صفحة . كلها جديد في موضوعه ، شائق في اسلوبه ، انيق في عرضه ، فضلا عن سلاسة عباراته ، وقوة حججه التي تغري بالقراءة والاستفادة .والحق ان كتاب « فن الترجمة في الادب العربي » قد اغراني بالقراءة بما جمع من جليل الآراء والابحاث حتى انتهيت منه في وقت يسير .وهو كسائر مؤلفات الاستاذ محمد عبدالغني حسن وكتاباته تغري بالقراءة ، لما اتصفت به من جزالة وافادة ، وما تهديه الى قرائها من متعة وثروة جديدة في الادب العربي.

القاهـرة طاهر احمد الطناحي

•

معبـد الشـوق

مجموعة شعرية ـ فؤاد الخشن ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات مؤسسة المعارف ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

عندما اصدر الشاعر فؤاد الخشن رائعته ، « ادونيس وعشتروت » قلنا فيها : حلاوة الكلمة وملاستها التي خمرها الريف ، والقى عليها اكثر من وشاح ، والرقة المنهلة من الحرير السائح على الاجساد الريانة ، مسحت عن الجو الملحمي ، الحدة والنزق وطيمته ناعما رخيا ، فكان لنا من مدخل الملحمة حتى حرفها الاخير ، لعبة الحان تغني جزالتها عن التطلع الى التقاف الطيب وابن جوانبه .

لهذا ما قلناه على ملحمة «ادونيس وعشتروت» . فما تقوله اليوم « ومعبد الشوق » يعود بالشاعر الى عالمه : المرأة والريف ـ الى الجمال المصفى المطيب ، لينعم على خفق الطيوب ، وسريع الحرير .

ما تقوله في هذا الشاعر الذي استضاف الجمال فما بخل عليه بلون من اطايبه ، فالحرف والكلمة ، واللحن تكافات في الصورةوالنغم، على ارتياح المرفه المدلل ، والمعجزة في الاشراح الرفرف على دفق فيه العطاء ، اكثر من خصب ، والخباء ولا الاسراف على موائد الكرام .

من اساطير الاغريق ان آلهة الجمال علقت حبائل احد الارباب وافتتنت به حتى الاستسلام ، فحاك زوجها شباكا سحرية اصطادهما بها وتركهما عرضة للانظار ، وكان ان اجتمع الارباب يتفاكهون . قيل ، التفت رب وقال ، على ما في امرهما ، وددت ان اكون هناك .. .

هذا امرنا والجمال وفؤاد الخشن في جميع انتاجه الشعري ، اما « معبد الشوق » فحديثه ولا شباك الحب على ايدي الارباب ..

كنت على متعتين ، طريق يتصعد الجبال من ضهور الشوير الى زحلة ، وروعة آخذة على تلك المشارف ، اللمقف الجمال والمهابة على شح البخيل واكاد اهم بالاخذ واذ بالمذيع من وراء الابعاد يهتف بابيات من الشعر حميمة الى النفس ، لكاتها النشوة والضجيج على الاختام..

يـا طفلـة فـي مـا تسائلنـي عمـا تـزال بعلمـه طفلـة
الحـب مـن اوحـى لشاعـره وعلـى دروب الوجد مـن دلـه
يا جنـة الحرمـان ما فتحـت لمتيم غنـى لهـا قبلـه
يا صعبـة ، بالثغـر باخلـة انـا لا احبـك في الهوى سهله

كاني بها جيوب عطار يعرف من فوحها ، فاحس اني على لقيا فيها الوداد مجنح البوح ، حميم السلافة ، قريب الى الجوانح ، والمذيع يتابع البث :

عينـاك ليلـي المخملـي وتولهـي وتاملـي
نجمـان يخبـو فيهمـا اللالاء دون تغزلـي
طفـلان ينكسـران يعتـلان دون تـدلـل
ويهـدهـدان ويرضعـان عبادتـي وتبتلـي

ولا اشرف على القمة الا والمذيع ، يصرح باسم صاحب الشعر ،

الاديـب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البيـر اديب

فؤاد الخشن ـ في معبد الشوق ـ وكانت اول معرفتي بهذه الصنوج المسبحة للجمال المتهل على اهداب ريفنا ، عائدة الى مناسكها الجمالية ، الريف والمرأة ، في احاديث يأنس اليها الحنان موردة الملاسة ناضجة المذاق ، يذوب فيها اللمي والحلاوات وساوس اشتهاء . فاجدني وهمي الحميم على ارتياح ، فلعمري ، نعم التوق على حمى المواعيد فاللمح اعذب من حنان اللقاء ، فكيف ومعبد الشوق ـ يصابحني بصلواته الفرحة لكان على بسمته رشت اهداب الايام العتيقة فازهرت رفاقا مرورهم على القلن التفات الامل الى البلوغ ..

ولا اهم الا وعطور ساحت على براعة ذوافة شعراء ، احمهم شعر فؤاد الخشن فتالق شهادة حق لا يهدأ بال مؤمن الا بتأديتها ليس حاجة بها ، بل اقرار لواجب ، واكمال لرسالة ، لتكاد تقرأ فؤاد الخشن على يدي : الدكتور محمد مندور ، وسعيد عقل وعمر ابو ريشة ، وبدر شاكر السياب وجورج صيدح وسواهم قبل الدخول ـ الى معبده ـ فتحس بخشوع المتعبد وقد آنت له الاقداس ..

قصيدة فؤاد الخشن قمقم عطر ، له كل مكاسب التراث الا انه لصاحبه ، واحيانا يتسم القمقم بنضارة وعذوبة فتقول بهذا او قطعة شمس ـ يقول سعيد عقل ، على اننا وجدنا في هذا القمقم على حلاوة ما طاف منه على شفاه سعيد عقل ، وجدنا ماردا جبارا له التسلي بالجمال والفستق المقشر لما يتلهى بتفتيت العاج وتسليك حبال الشمس في روعة الوشي على صدور لا اروع ولا اكثر نضارة ..

حبيب العمر يا احلى حبيب   يفوح له ويضفر ياسمين
ستبقى ما وراء البوح سرا   به قلبي على الدنيا ضنين

واي انكار للذات والعطاء يقدم عليه فؤاد الخشن في شحه على الدنيا باسراره فهل بعد ما قدم يبقى بذل ؟ او انه كالزهرة الفواحة تبذخ في العطاء وتبقى تخاف الشح لان سجاياها ابعدتها عن العلم بكرمها .

ابعد الاسرار الجمالية التي فتقها فؤاد الخشن في سوار الياسمين وغابة الزيتون وادونيس وعشتروت وهذا المعبد الذي كلما حججت اليه ازداد بك الشوق . ابعد هذا البوح المرنم لتبقى لدى شاعر اسرار يضن بها على الدنيا ، فاي هيكل مسحور تتمايل غلائله على كل هبة شوق فتكشف عن اسرار التفاتها قوارير طيب لا تنسم الا والجوانب على اشتمال :

آه ، لو كنت هنا لانهمرت   من غصون اللوز آلاف النجوم
وهمت ريشاتها وانتشرت   كرقاع الثلج او بيض الغيوم
والقناديل المضيئات كست   طرق الاسى الى تلك الكروم
حيثما الوادي حنين لاهف   لصدى الصوت السماوي الرخيم

الى هذا الصوت السماوي الرخيم يأنس فؤاد الخشن في « معبد الشوق » وفي كل ما كتب ويكتب ، واظنني لا اكون مبالغا اذا قلت ان اسراره التي يضن بها على الدنيا ليست بعيدة عن هذه الاصوات السماوية التي كلما انهملت اوحت باسرار جديدة كأنها كمائم لا يفض عنها ختم الا واطلع مارد يتلهى به فؤاد الخشن على عفوية السري المدلل الذي من لعبه المشرفة هذا التراث الشعري الذي نحن عليه الان .

في شعر فؤاد الخشن الوان بمقادر تشابكها تحسها ، والسحر على يديك ، لونا واحدا ، فلا تفتق عنها بعض الغلالات الا ومسرى الوان يتمايل على زهو التأنف منسلا ظلالا واضواء ، فيها من كل جمال اجمله ، حتى اذا انصهر السبك جاءت المعجزة ، التي من تشابك الوانها هذا البهاء المخدر الذي تحسه الاعصاب حمى لها شد ونزع ، اشد ما فيها اقتدارا ، انجذاب الجوانح الى حماها ..

حبيبي لن ابوح لغير ثغر   بخيل لا يبوح بما يبين
واهداب ترف جناح شوق   ومروحة يلاح بها الفتون
وعيني عند عينيك ابتهال   يهدهده التلهف والحنين
وليلي للهوى ارق لذيذ   ودمعات تضيق بها الجفون

وبعد ، ما الذي يحبب « معبد الشوق » الى القلوب ؟ االسهولة السريحة ، ام الكلمة المنغمة المتقلة المعافي ، ام الرقة المتأزرة بظلال الالوان ، ام اللون ذاته تكسر قوس قزح ، فالظل منه الوان ، ام الصورة الدارجة الى البقاء بحيوية الفتي الناشيء ، ام غلالات من مشاهد عاشت في عيني شاعر واستوطنت جوانحه فهتف بها ؟.

كل هذه الصبايا تجمل الشعر وتحليه ، لكنها متى اجتمعت فلا تكون الا على شعر فؤاد الخشن وامثاله حيث يتآخى النحت والانمل ، حتى الملاسة اغراء على اللمس ..

هبة الاقدار للملهم ان   يعرف الغم وليل التعب
ويذوق الوجد اشهى قلق   مبدع في دمه منسرب
ينضج العنقود ان لوحه   لهب الظهر ودمع المغرب
وكذاك العود يعطي طيبه   حينما يغدو طعام اللهب
اسبلي الهدب لرحلات على   غيمتي ان شئت ان تغتربي

وانها لغربة يروحها فؤاد الخشن في « معبد الشوق » اخاف فيها انفرادا موحشا ، وقد ابتعد فيما اعطى عن حدود العالم المأهول الى حيث يغني :

انها زاد لنا في رحلة   عبر آفاق الضلال المبدع
هذيان الدم في غيبوبة   حلوة خلف حدود اللاوعي

فوزي سابا

•

شعراء اليمن المعاصرون

تأليف هلال ناجي ـ ٣٥٢ صفحة ـ مكتبة المعارف ببيروت

الشاعر الاديب الاستاذ هلال ناجي القائم باعمال السفارة العراقية في تونس ، يقوم باضخم سفارة ادبية لبلاده ليس في تونس فقط بل في جميع البلاد العربية وذلك بما يقدم من نتاج ادبي بمختلف الوانه يقبل عليه المثقفون ورجال الفكر والقلم ويكون موضع التحليل والدراسة والمناقشة لفترة طويلة من الزمن ..وفي خلال هذه الفترة يتألق اسم الشاعر الاديب هلال ناجي كعنوان بارز للثقافة العراقية والفكر الخلاق المبدع .

ان الناقد لآثار الصديق هلال ناجي والراصد لآثاره الادبية تدهشه هذه الغزارة في انتاجه ويعجبه هذا العمق في التحليل ، والشمول في التراجم ، والدقة في البحث ، والذوق الفني ، والحس المرهف ، والشاعرية المتدفقة باحاسيس الجمال والوطنية والعروبة .. وهو مع كل هذا يمتاز بخلق كريم ، وطبع سمح ، وتواضع جم ، واريحية شملت كل من اتصل به وعرفه على حقيقته .

آخر ما اهدى للمكتبة العربية كتابه الضخم « شعراء اليمن المعاصرون » ، المطبوع في بيروت ، وقد استغربت عند تسلمي الكتاب هدية من الصديق العزيز الاستاذ هلال ناجي اقدامه على بحث مثل هذا الموضوع الذي يحتاج الى الكثير من الجهد والتتبع والمراجعة وذلك لندرة المصادر المطبوعة والمخطوطة في هذا الموضوع ، ولكن الاستاذ هلال بما عرف عنه من جرأة وصبر وثبات وحرص على اقتحام المواضيع الصعبة وغير المطروقة سار في هذا الطريق الشائك فمهد سبله واوضح معالمه فقدم لنا اضمامة عطرة من صفوة شعراء اليمن المعاصرين .

لقد ذكر لنا في مقدمة الكتاب البواعث التي دفعته الى هذه الدراسة فهي : ١ ـ اهمال الباحثين والدارسين للشعر في اليمن التي هي مهد العرب الحقيقي ودراسة الشعر فيها تمثل حلقة مهمة من حلقات الدراسات الشعرية العربية المعاصرة ٢ ـ اعجابه العميق بالفروسية التي اتصف بها ادباء وشعراء هذا القطر العربي الذي قدم

اغلى الضحايا من ادبائه على مذبح الحرية في ثورته عام ١٩٤٨ .

لقد درس الاستاذ هلال ناجي في كتابه هذا ٢٣ شاعرا يمنيا دراسة تحليل وترجمة وتحقيق وسلط الاضواء على الاجواء التي عاشوا فيها واضطربوا في تياراتها ..ثم قدم لنا مع كل دراسة لشاعر من هؤلاء الشعراء نماذج وافية من شعره فتكون من هذا المجموع ديوان منتقى لشعراء اليمن تموج فيه احاسيسهم وتعبق من خلال قصائدهم روح التضحية والفداء .. واضاف الاستاذ هلال ناجي الى كل هذا فصلا مهما عن : «التطور الفني في الشعر اليمني» وهو موضوع صعب وشائك اللهم الا اذا تناوله قلم شاعر واديب وباحث كقلم الاستاذ هلال ناجي .

ان الكتاب بمجموعه تحفة ادبية نادرة وباقة شعر ندية نشم فيها عطرا هو جديد علينا كل الجدة فيه عبق البادية الفواح ، ونسائمها العذبة المنعشة كما فيه هوج رياحها المربدة وعواطفها الزمجرة ،وانينها المكتوم ، فيه الحنين الى الحرية ، وعذاب الشوق ، ولهفة المحب الولهان .. هذا العطر الذي نشمه في شعر هؤلاء الشعراء الذين انطلقوا ينشدون الحرية لوطنهم والسعادة لاخوانهم ، هو اغرودةالحرية في اليمن السعيدة .

اني اشكر الاستاذ هلال ناجي على هذه الدراسة الاصيلة البكر التي ستحتل مكانتها في نفوس القراء العرب في كل مكان .

بغداد — **مهدي القزاز**
رئيس تحرير مجلة الكتبة

•

عبير ومجد

تأليف اسمى طوبي ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

كتاب الاديبة السيدة اسمى طوبي « عبير ومجد» ، الذي نزل الى الاسواق العربية مؤخرا ، هو مجموعة من البطولات النسائية الفلسطينية المتعددة . كانت الى حين نشر الكتاب ، بطولات صامتة أبية ، لا يعلم بها الا قلة من القراء والقارئات العرب .

وهذا المؤلف في نظري ، هو المن ما خطت الاديبة طوبي حتى اليوم ، ليس لان تحضيره كلفها سنوات طويلة من البحث والاستقصاء والاعداد فحسب ، بل لانه صرخة مؤثرة قوية ، صرخة هادئة ثائرة تقول للملا : « هاكم ما فعل اهل فلسطين لانقاذ فلسطين .. هاكم صفحات وصفحات عن نساء فلسطين وابنائها ، عن امتزاج جراحهن ورسالتهن بجراح الوطن وكبريائه وصموده وهو يشرح على ايدي قصابين مجرمين ، تآمروا على تمزيق ارض طاهرة تعبق طياتها بالبخور » .

قبل سنة ونصف السنة ، زرت المؤلفة مع شقيقتي السيدة بيان نويهض الحوت ، وذلك لتستزيد السيدة اسمى معلومات اضافية دقيقة عن بيان تدرجها في باب خاص من الكتاب يتناول اعمال ونضال الصحفيات الفلسطينيات ، واذكر كيف راحت تشكو الينا ما تتكبده من تعب وحرق اعصاب في جمع المعلومات من نساء فلسطينيات بعثرهن الزمن في مشارق الارض ومغاربها .. فتلك رسالة تبعثها الى عنوان احداهن ، تعود اليها مغلقة خرساء ، واخرى يرد مغلفها بان صاحبة العنوان قد انتقلت الى مكان مجهول .. وغير هذا من الصعوبات والعقبات التي لم تفت في عضد الكاتبة لحظة واحدة ، بل زادتها ايمانا وتصميما على متابعة عملها الضخم ، لا تطلب منجراء ذلك الا ان ترد وتقنع كل جاهل او متجاهل يقول لاهل فلسطين : « لو كنتم ابطالا حقيقيين ، لما بعتم اراضيكم لليهود اولا ولما نزحتم عنها كالجبناء ثانيا » .

وقبل شهرين ولد الكتاب بعد سنوات ثلاث من الحمل المرهق المضني ، يزين غلافه وجه فتاة نضر يتطلع الى افق وردي بعيد وخلفها ازهار تمثل عبير المجد والتضحية والامل في عودة اكيدة .

قرات الكتاب على مهل ، فاذا به كالنهر العريض الرقراق ، يحكي من نبعه الى مصبه ، حكاية المجتمع العربي الفلسطيني مبتدئا من عام ١٨٤٨ حيث اسست اول مدرسة نظامية للاناث في القدس العاصمة. اعطت المؤلفة هذا الباب الاول ـ باب العلم والمعاهد العلمية ـ حقه من التقدير فتحدثت باسهاب عن الفائدة الكبرى التي جناها الطلاب والطالبات العرب من هذه المدارس المختلفة ، كما روت لنا سير المربيات الفلسطينيات الكبيرات ، اللواتي امضين اعمارهن بين جدران المعاهد يعطين ولا يتعبن من العطاء .

الباب الثاني يروي تاريخمحاميات وطبيبات وصحافيات من عجائز وشابات لا يزال معظمهن حتى اليوم ينسج من عروقه دروب كفاح وصمود من اجل استرجاع الوطن المسلوب .

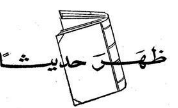
في الباب الثالث ، تنخرط المؤلفة في الحديث عن الشؤون الاجتماعية ، فتعدد اعمال واسماء الجمعيات الخيرية المتنوعة مع معلومات دقيقة وافية عن مؤسسات ومديرات تلك الجمعيات ، اللواتي بقي بعضهن حتى آخر لحظة يعرض صدره للقنابل والرصاص وذلك لتضميد جرح او لمساعدة ثكلى او لرعاية يتيم يجهش بالبكاء على صدر ام شهيدة ، ولم تنس المؤلفة بالطبع ان تجلل ذكرى المغفور لها السيدة هدى شعراوي بهالة من التقدير المثير ، هذه السيدة الجليلة التي اسست الاتحاد النسائي العربي وكانت مثالا أعلى اقتدى به العشرات من نساء العرب من حيث الوطنية والبسالة واطلاق صوت المرأة العربية في كل مكان .

الابواب الباقية تخط بكل امانة واجلال ، نشاط نساء فلسطينيات معروفات امثال السيدة ساذج نصار وماري صروف شحاده ، ومنهن ننطلق الى تعداد المشاريع الكبرى التي قامت بها نساء فلسطين من بناء مستشفيات ومساجد ومعامل وبيوت لايواء الاطفال من ايتام ومرضى ومشلولين . ومن اعمال البر والاحسان تنتقل الى عالم الادب والشعر فتعطي كل شاعرة واديبة فلسطينية حقها من الاسهام في الذود عن فلسطين بسلاح القلم الثائر الملتهب بالوطنية وكلمة الحق .

الفن والموسيقى بما فيهما من نحت ورسم ورقص شعبي ، احتل الشرح عنهما البابان السابع والثامن ، وقد أبرزت المؤلفة نضال الفنانين اسماعيل وتمام شموط في معركة التحرير وذلك عن طريق لوحاتهما الرائعة التي تحرك فينا الفرح والغضب والحزن في آن واحد . كذلك تحدثت باسهاب عن الفنانين الزوجين مروان ووديعة جرار اللذين حملا رقصنا الشعبي الاصيل الى أرقى المسارح في انحاء العالم من شرق وغرب .

اما الباب التاسع ، باب الفداء ، فقد انحشرت فيه أنهر الدماء ولوحات الاستشهاد ومشاهد البطولات ، فكان اروع قسم واكثره لذكريات المآسي وابتسام الارواح التي صعدت الى ربها يجللها الطهر والشرف ، مذكرة ايانا بانها لم تذهب هدرا وانما استشهدت في سبيلنا وفي سبيل وطن سيعود كريما عربيا في وقت قريب . من خلال سطور هذا الباب تسمع امهات الشهداء يزغردن حول مشانق ابنائهن ، وترى نسوة يدسن جثث ازواجهن في طريقهن الى الانتقام وسلاحهن البنادق التي سرعان ما تهوي معهن وسط انفجار القنابل والرشاشات .. اما الشهيدات اليانعات اللواتي وشين انوثتهن وعذريتهن بطرحة الاستشهاد بدلا من طرحة العرس ، فهن عند الله عز وجل ، ارواح زنبقية ابدية .. وعلى الارض سيكون لهن تماثيل وشوارع تحمل اسماءهن في فلسطين العربية باذن الله ..

وعن سبب او اسباب ضياع فلسطين تقول الكاتبة ما مؤداه : ان الاراضي التي بعناها نحن العرب الى اليهود ، كانت قلة قليلة بالنسبة للاراضي التي أهديت الى الاسرائيليين على اطباق فضة من قبل



● الوطن العربي : دراسة لملامحه الجغرافية ـ تاليف الدكتور محمد عبدالغني سعودي ـ ٥٦٨ صفحة ـ مع عدة خرائط ـ حجم كبير ـ منشورات النموذجية بالقاهرة ـ مطبعة دار الرائد بالقاهرة .

● ذكرى حبيب : ديوان السيد محمد حبيب العبيدي ، مفتي الموصل ـ عني بجمعه وتحقيقه وقدم له احمد الفخري ـ ٢٨٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الجمهورية بالموصل العراق .

● قادة فتح المغرب العربي ـ تاليف اللواء الركن محمود شيت خطاب ـ ٣٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الفتح ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● طريق النصر في معركة الثار ـ تاليف اللواء الركن محمود شيت خطاب ـ ٤٩٥ صفحة ـ منشورات دار الفتح بيروت ـ مطابع دار لبنان ببيروت .

● تمرد ـ قصص قصيرة ـ تاليف خليفة التكبالي ـ ١٢٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب في ليبيا ـ مطابع وزارة الاعلام والثقافة في طرابلس بليبيا .

● غادة افاميا ـ دراما شعرية في اربعة فصول ـ تاليف عدنان مردم بك ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات عويدات ببيروت .

البريطانيين ، بالاضافة الى اراض باعها عرب من خارج فلسطين .. واما عن النزوح واتهامنا نحن الفلسطينيين باننا جبنا وهربنا تاركين خلفنا وطنا مطعونا يستنجد ، فهذا عين الافتراء والاتهام المجنون ، اذ اننا في اوائل نيسان كنا قد فقدنا الذخيرة اللازمة ورغم هذا بقينا صامدين نحارب ببقايا اسلحة بسيطة لا تقوى على المدافع والقنابل والالغام .. واضيف الى قول الكاتبة رايي الشخصي فاقول : والذي زاد الطين بلة والطعنة تمزيقا ، ان الدول العربية الشقيقة آنذاك ، بينما كانت تعدنا بالرجوع القريب وباقامة الاعراس وضرب الطبول ، فوجئنا ، ولم نشعر الا وحفلات الانتصار الموعودة قد اصبحت مآتم في خيام تتلاعب بها الرياح ، ولم ندر الا ونحن نعيش إلى اجل غير مسمى ، على أراض شقيقة اصبحت بالنسبة الينا اراضي غريبة تطعمنا اللقمة مغموسة بالذل والمهانة ... ان الدول العربية قبل ثمانية عشر عاما قد اصبحت غيرها اليوم ، ولكن اللاجيء يظل لاجئا لا يستطيب الا سماءه وارضه ورائحة ترابه المشبع بالبخور ..

واخيرا ، ان كتاب « عبير ومجد » مؤلف ضخم بمعلوماته وشروحاته ، ناهيك باسلوب المؤلفة الانساني وبروحها القومية الوثابة التي تنتصب كالمارد في وجه كل من يتهم اهل فلسطين بضياع فلسطين .

نورا نويهض حلواني

● اعمال المجمع الفاتيكاني الثاني المسكوني ـ الجزء الاول ـ ترجمة مجلة « المسرة » ـ ٢٣٢ صفحة ـ المطبعة البوليسية في جونية لبنان .

● انسحاب اسرائيل من سيناء ـ باللغة الانجليزية ـ تاليف وليد ابي مرشد ـ ١٤٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مجموعة قرارات الامم المتحدة الخاصة بفلسطين عام ١٩٤٧ الى عام ١٩٦٥ ـ باللغة الانجليزية ـ تاليف سامي هداوي ـ ١٥٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فلسطين امام الامم المتحدة عام ١٩٦٥ ـ باللغة الانجليزية ـ تاليف سامي هداوي ـ ٣٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٥ ـ جمع وتحرير الدكتور منذر فائق عنبتاوي ـ ٦٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٤ ـ ساهم في اعداده : منذر عنبتاوي ، وليد ابي مرشد والياس غنطوس ـ باشراف برهان دجاني ـ ٥٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حبي له اكثر ـ مجموعة شعرية ـ خازن عبود ـ تقديم اسمى طوبي ـ ١٨٤ صفحة ـ منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر ببيروت ـ مؤسسة خليفة للطباعة بالدورة بيروت .

● دفنا الماضي ـ رواية ـ تاليف عبدالكريم غلاب ـ ٤٠٨ صفحة ـ منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الحب اقوى ـ رواية ـ تاليف حازم مراد ـ ١٢٨ صفحة ـ مطابع دار البصري ببغداد .

● نساء عاشقات ـ تاليف صلاح الدين المنجد ـ طبعة ثانية ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار الكتاب الجديد (؟) ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

● الفلسفة التربوية في القرآن ـ تاليف الدكتور محمد فاضل الجمالي ـ ١٠٤ صفحة ـ منشورات دار الكتاب الجديد (؟) (لم يذكر اسم المطبعة) .

● كتاب التبصر بالتجارة ـ تاليف عمر بن بحر الجاحظ ـ تحقيق حسن حسني عبد الوهاب عضو مجمع اللغة العربية بدمشق والقاهرة ـ ٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب الجديد (؟) ـ لم يذكر اسم المطبعة) .

● مذكراتي ، صفحات من تاريخ سورية الحديث ١٩٢٠/١٩٥٨ ـ تاليف حسن الحكيم رئيس وزراء سورية سابقا ـ القسم الثاني ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الكتاب الجديد ببيروت .. (لم يذكر اسم المطبعة) .

● طبيعة القانون العلمي ـ تاليف محمد فرحات عمر ـ تقديم الدكتور زكي نجيب محمود ـ ٢٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ماكس بلانك ، الفيزيائي والمفكر الكبير ـ مع ملحق عن جمعية ماكس بلانك لتقدم العلوم ـ تاليف الدكتور محمد يحيى الهاشمي رئيس جمعية الابحاث العلمية في حلب ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الضاد في حلب .

● الاب انستاس ماري الكرملي ، حياته ومؤلفاته ١٨٦٦ / ١٩٤٧ تاليف كوركيس عواد ـ ٣٠٤ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه ـ مطبعة العاني ببغداد .

شهادة لبنانية جديدة : بكالوريا العلوم التجارية

يحتل التعليم التقني والمهني ، الذي طالما اهمل واعتبر في الدرجة الثانية ، مرتبة هامة في النظام التربوي للبنان وذلك منذ ان انشىء المعهد التقني في الدكوانة ، وتجد هذه المرتبة ما يبررها في الحاجة المتزايدة دوما الى الفنيين والتضخم الذي يعانيه الحقل الادبي .

ولكي يلقى التعليم التقني فعاليته المطلقة ويبلغ مداه الكامل المرتجى فقد توجب السهر على تامين المستوى الرفيع له سواء كان ذلك من ناحية مناهج الدرس ام من جهة تنظيم الفحوص ومنح الشهادات وقد اعتمدت السلطات العامة لهذه الغاية ثلاثة اجراءات تكميلية تهدف الى القضاء على الآراء الاعتباطية التي طالما شكا منها التعليم التقني في لبنان واعداده ليصبح موازيا لمستوى الدروس الادبية وليشكل اداة تقدم انساني وثقافي ووسيلة للانعاش الاقتصادي والاجتماعي .

١ ـ لقد انشىء في بادىء الامر معهد الدكوانة حيث نوعيةالتعليم توازي مستوى افضل المؤسسات الاوروبية ويلبي هذا التعليم المتطلبات التقنية الحالية بالاضافة الى كونه يخصص للثقافة العامة مركزا رحبا ويشير بوضوح تقسيم مختلف الدروس وتوزيعها ضمن نطاق المنهاج الاسبوعي الى ان التعليم المهني لا يتعارض ابدا والتعليم الانساني وانه لمن السهل ان تتم موافقة ما تفرضه التقنية وغير ذلك مما تفرضه الثقافة العامة المتناسقة المتزنة .

٢ ـ لقد تطلب رفع مستوى التعليم التقني القضاء على الفوضى التي كانت تسيطر على المناهج والفحوص ومنح الشهادات اذ ان كل مؤسسة كانت تعمل في هذا الحقل على هواها دون ان تكون هناك مراقبة ما من قبل وزارة التربية الوطنية ولذا تقرر ان تمنح الدولة اعتبارا من عام ١٩٦٩ ، شهادات التعليم التقني شانها في اعتمادها المبدأ المعمول به في حقل التعليم الثانوي ، هذا وستستمر المعاهد الخاصة للتعليم المهني في اداء مهمتها بحرية كما في الماضي مع العلم بان للدولة وحدها صفة اعطاء الشهادات .

٣ ـ لقد ادى الجهد المزدوج الذي بذل من اجل رفع مستوى المناهج وتحسين شروط منح الشهادات الى وضع البكالوريا التقنية التي تمكن طلاب التعليم التقني والمهني من الافادة من الميزات والامكانات ذاتها التي ينعم بها تلامذة التعليم الثانوي التقليدي .

وقد قسمت البكالوريا التقنية الى اقسام متعددة تتناول مختلف فروع التعليم التقني وتدخل هذه البكالوريا التقنية فئة العلوم التجارية، في عداد هذه الاقسام وهي الشهادة التي وضعت لتسد نقصا فادحا ولتنعم بمستقبل لامع .

اولا ـ لماذا وضعت بكالوريا العلوم التجارية ؟ هناك ثلاثة اعتبارات على الاقل تبرر وضع هذه الشهادات :

١ ـ متطلبات سوق العمل :

يحتاج لبنان وهو بلد الخدمات والمبادلات حيث تحتل النشاطات المالية والتجارية مركزا قديما الى مجموعة من الاخصائيين للوظائف المتعددة في القطاع الثالث : المصارف ، التأمين ، التجارة الكبرى والنقل الجوي والبحري الخ ... ويتطلب اتساع عمليات هذا القطاع واختصاصها اعدادا تقنيا دقيقا وشاملا للعاملين فيه .

٢ ـ المتطلبات التقنية

ان الاصول التقنية التجارية والمالية تخضع حاليا للتبدل وهي تفيد كثيرا مما يؤمنه بعض العلوم الحديثة بالاحصاء والبحث ودراسة السوق . وانه ليترتب ادخال هذه العلوم في التعليم التجاري بغية تامين درجة تقنية عليا للشبان اللبنانيين الذين يتجهون نحو حقل التجارة او المال وليس هناك افضل من شهادة عليا في مستوى البكالوريا القسم الثاني ، لتامين التحصيل المتقن الحديث .

٣ ـ متطلبات السياسة التعليمية :

ان المنهاج الشامل الذي يؤمن الاعداد الكامل والفحص الرسمي الذي ينجم عنه شهادة تخول حاملها متابعة الدروس العليا ، يجتذبان الشبان النشيطين الاكفاء نحو الاعمال التجارية وهم الشبان الذين اتجهوا نحو الحقل الادبي المثقل بسبب احتقارهم لدروس قد لا تجدي نفعا .

ثانيا ـ ميزات وحسنات البكالوريا للعلوم التجارية : لكي تتمكن هذه البكالوريا الجديدة من القيام بدورها على اكمل وجه وتحقيق امل واضعيها يتوجب ان تجمع ما بين ميزات التعليم الحقيقي والتعليم التقني الحقيقي كما يترتب ايضا الا تكون الخدمة العملية التي اوكل اليها امر تحقيقها سببا لاغفال الصلات التي يجب الحفاظ عليها ازاء الثقافة الانسانية التقليدية . وتبدو هذه الرغبة في الاسلوب والتوازن ما بين متطلبات الثقافة والتعليم التقني من خلال اختيار مواد التدريس وكميتها وتقسيمها لفترة اربع سنوات من الدروس .

١ ـ ان القسم المخصص للتعليم العام هو هام اذ انه قد خصصت خلال العامين الاول والثاني عشرون ساعة للتعليم العام من اصل مجموع احدى وثلاثين ساعة اسبوعيا وهناك نسبة مجاورة للعامين الثالث والرابع: ١٩ ساعة اسبوعيا للتعليم العام مقابل ١٢ ساعة للمواد التقنية

٢ ـ ان مواد التعليم العام هي ذاتها المواد المعتمدة في التعليم الثانوي : اللغات الحية والادب والفلسفة والفيزياء والكيمياء والتاريخ والجغرافيا يضاف الى ذلك التربية الوطنية والاجتماعية التي ستدخل منذ الآن وصاعدا في عداد منهاج البكالوريا العادية وتجدر الاشارة الى انه خلافا لمتطلبات الدروس الثانوية فان البكالوريا التجارية تتطلب دراسة اللغتين الحيتين : الفرنسية والانكليزية .اما المنهاج الادبي فقد اتقن اعداده وهو يشتمل من حيث الادب الافرنسي على جميع كبار المؤلفين ابتداء من القرن السابع عشر لغاية القرن التاسع عشر . وتدرس مؤلفات اشهر ادباء القرن العشرين خلال السنة الثالثة . اما تاريخ الادب ابتداء من القرن السابع عشر لغاية اليوم فانما يدرس خلال السنة الرابعة .

وقد يكون هناك بعض النقص في لائحة الادباء الذين تدرس مؤلفاتهم كما ان اختيار المؤلفات لم يكن دائما الافضل اذ انه خلو من مونتاين وباسكال بينما اعتمد مؤلفان لهيجو وهما « نوتردام دي باري » و « البؤساء » وتشكل دراسة هذين المؤلفين فائدة ثانوية وانه لمن المؤسف ان يخلو القرن العشرون من مؤلفات كل من بيجي وفاليري وكلوديل بينما ادرجت مؤلفات كل من الان ، مالرو وسانت اكزوبيري في المنهاج ويبدو هنا النقص في التفصيل ويمكن معالجته بسهولة .

اما من حيث الفلسفة فقد خصصت للعامين الاخيرين : الفلسفة

العربية للسنة الثالثة والفلسفة العامة للسنة الرابعة ويبدو هـذا المنهاج كاملا واكثر التحاما وانطباقا مع العقلية الحالية مـن منهاج « البكالوريا الادبية » بحد ذاته .

وتتوفر ميزات التجدد والانطباق في تعليم التاريخ والجغرافيا وقد شدد على التقلبات الاقتصادية والاجتماعية ووقائع الحضارة وخصصت مواد تدريس التاريخ ـ السنة الرابعة ـ لدراسة اهم حضارات العالم المعاصر الذي درست مصادره التاريخية خلال العامين الثاني والثالث.

وليس هنالك من ضرورة للتوقف عند الفائدة التي تؤمنها هـذه الدراسة للمعطيات التقنية والاقتصادية والثقافية العائدة الى الحضارة المعاصرة : معلومات جديدة لا تتوفر في البكالوريا التقليدية التي يبدو منهاجها غير ملائم لاوضاع العلم الحالية .

وتشكل مواد التربية الوطنية والاجتماعية اشراكا حقيقياللمعضلات السياسية في العالم الحالي ودراسة المؤسسات والمعضلات الاجتماعية والاقتصادية واوقات الفراغ وادوات الثقافة .

٣ ـ ان المواد التقنية بحد ذاتها تهيء الطالب مباشرة لتسلم الوظيفة وهي لا تهمل ابدا العناية بالثقافة المجردة ولا تتعارض والتعليم العام بل انها تكمله على افضل وجه وهي تجمع البحث العلمي الـى العناية بالدقة التقنية . ويضاف الـى هذه المواد المحاسبة والمال ودراسة الاقتصاد السياسي والحقوق والاحصاء العملي وادارةالاعمال. ولعله قد لوحظ بان قسما من هذه المواد يدرس لاول مرة على مستوى البكالوريا وقد اقتصر تدريس هذه المواد على التعليم العالي ضمـن نطـاق العلوم الاقتصاديـة .

ان بكالوريا العلوم التجارية التي سيعمل بها اعتبارا مـن تشرين الاول (تجري دورة الامتحان الاول خلال حزيران ١٩٦٧) ستجتذب عددا كبيرا من المرشحين وقد استهوتهم درجة ثقافتها العليا واهميتها العمليـة المباشـرة .

وتؤمن هذه الشهادة الاعداد المباشر لتسلم الوظيفة بينما تشكـل البكالوريا العادية وسيلة اعداد لدخول الجامعة فقط وسيتمكن اولئك الذين يرغبون في العمل لدى حصولهم على شهاداتهم من ان يقدموا على ذلك بواسطة الاعداد الاكثر فعالية مما لو كانوا من حملة الفلسفة او الرياضيات الاولية ولن يبعدوا عن الدروس العادية وبوسعهم ان يدخلوا الجامعة لانهم يحملون البكالوريا الحقيقية وذلك للالتحاق بالفروع التي تتعلق بدروسهم . خبير في المحاسبة او العلوم الاقتصادية مثلا .وفيما تشكلالبكالورياالجديدة منفذا فهيلا تقطعالطريق على الدروسالجامعية.

وتبرر هذه الميزات الاربع سنوات الملحوظة للدروس وتمكن حلقة الدروس هذه التي تمتد سنة واحدة اكثر من حلقة التعليم الثانوي ، حامل البكالوريا التجارية من الحصول على ثقافة حامل البكالوريـا الادبية بالاضافة الى اعداد تقني متين يمكنه من القيام بأي وظيفة كانت في القطاع الاكثر حيوية في حقل الاقتصاد اللبناني الذي يكيف مستقبل البـلاد الاقتصـادي .

•

الادارة العامة للشبيبة والرياضة في لبنان

شهد لبنان مؤخرا حدثا هاما وهو انشاء ادارة عامة في وزارة التربية الوطنية غايتها الرئيسية انجاز واعداد الشبيبة في الحقول التالية : الرياضة البدنية ، الثقافة ، الاجتماع ، التربية الوطنية والرياضة.

لقد انشئت هذه المؤسسة تلبية لمتطلبات داخلية املاها التقـدم السريع الذي يحققه البلد في مختلف قطاعات الحياة الوطنية . ويبدو هذا العمل منسجما ودور الدولة الهام ، المتزايد دوما ، في حقـل التربية واعداد الملاكـات .

ويمكن القول ان المهمة تشمل دون شك كل ما له علاقة بالرياضة والتربية البدنية والشؤون المدرسية ، خلال فترة الدراسة وبعدها ، بالاضافة الى كل ما يتعلق بحركة الشبان وذلك ضمن اطار الجمعيـات « الكشفية ، فنادق الشبيبة ومخيمات العطل » ويتبع هذا كله انشاء منازل للشبيبة مصممة وفقا للاسلوب الحديث الكامل وذلك بغية تأمين اللهو المفيد والممتع .

لقد وضعت تحت تصرف الادارة العامة اربع مؤسسـات للاعداد وهـي التاليـة :

معهدان قائمان حاليا «للذكور والاناث» بالاضافة الى انشاءمعهدين وطنيين « للرياضة والتربية الشعبية » وتعنى هذه الادارة حاليا بدراسة الوسائل التي يمكن من تحسين برامج الدروس والمباني والارض وزيادة عدد افراد الهيئة العاملة بغية تأمين العمل الافضل في حقل التعليم والمطابقة الفعالة لمتطلبات التربية البدنية الحديثة وتعجيل حركة اعداد الملاكات الضرورية « اساتذة ، مرشدون ، مدرسون ومدربون » .

اما مهمة المعهد الوطني للتربية الشعبية فستتناول اعداد مدرسين التربية الشعبية عن طريق التدرب المختص في كافة مواد هذا الحقل « القراءة ، المسرح ، الدمى ، حفظ الافلام السينمائية ، الموسيقى ، الرقص الايقاعي والفولكلوري والكلاسيكي والالعاب التربويةوالاجتماعية.

وتبدو الرغبة في اعداد المديرين لبيوت الشبيبة الذين يجب ان تتوفر لديهم ، بالاضافة الى مختلف مراحل هذا التدرب ، صفة الادارة وروح التنظيم الناشط ، وسيمنح المعهد ايضا شهادات دولة للمرشـد ولمدير مخيمـات العطـل .

اما المعهد الوطني للرياضيات فيعنى بتزويد البلد في مختلـف اقسام الرياضة ، بالمدربين المختصين ولا بد من ان يستعين هذا المعهد بالمدربين الدوليين خلال المرحلة الاولى من بداية عمله ، وستتمالدراسة هنا ايضا ، بواسطة التدرب القصير المدى والمتوسط والبعيد وفقـا للمستويـات المطلوبـة .

وغني عن القول ان غاية هذا المعهد الاخيرة هي ان تتضافر كافة الوسائل لتأمين الانتاج الافضل في سبيل ترقية الانسان والمواطنويصبح هذا المعهد من حيث وظائفه المحددة العاملة فيقطاعي الشبانونشاطاتهم، الوسيط ما بين كافة منظمات شبان البلد الخاصة وسائر اقاليـم الحكومة ، كما انه مدعو ليكون باعثا لاكبر حملة للتطوع الاختياري في صفوف طبقة البلاد الناشطة ، ذكورا واناثا ، في الاعمال الاقتصادية الحيوية الكبرى وفي مختلف الاقسـام الاجتماعية .

هذا وستبدو اهمية اعمال المعهد خلال مرحلته الاولى لعام ١٩٦٦، بالرغم من كونها ستتأثر بالموازنة وبالصعوبات التي تلازم انطلاقـة كـل مؤسسة وانه ليتوقع بان تسهم هذه الاعمال في مضاعفة الجهـود والاعتمادات وفي ازدياد فائـدة مجمـوع السكـان المتوخاة من رسالة شبـان البلـد .

وستعلن روزنامة المشاريع الكبرى للمعضلات التي يواجهها شبان لبنان اليوم والغد وهي الروزنامة التي سيعالج الشبان مواضيعها بعد ان يكونوا قد اعدوها بانفسهم لمعالجة شؤونهم ، اما الراي العام فمدعو للاشتراك في هذا العمل الجبار الدائم الذي تعنى الهيئة الرسميـة بتحقيقـه على صعيـد الدولـة .

ان هذا النداء موجه منذ الان الى جميع شبابنا المغتربين الذيـن يشكلون جزءا لا يتجزأ من الشبيبة اللبنانية ليكونوا دوما على اتصـال مع الادارة العامة للشبيبة والرياضات وانه لبوسعهم ان يساعدوا هذه الادارة بفضل خبرتهم التي اكتسبوها في البلدان الصديقة وان يقدموا الاقتراحات من اجل تنسيق العمل .

وانطلاقا من الخطاب المخطط الذي القاه فخامة رئيس الجمهورية بتاريخ ١٢ كانون الاول ١٩٦٥ بحضور ممثلي منظمات الشبيبةوالرياضات

تجد الادارة العامة للشبيبة والرياضات نفسها وهي تنعم بامتيازات لم تتوفر لاية هيئة اخرى .

انها لمدعوة ان تكون مثالا للفاعلية والانتاج ولن تتمكن من تحقيق هذا ما لم تتوفر لديها مؤازرة مجموعة اللبنانيين .

•

التزلـج السياحـي في لبنـان

يجب ان نميز حالا بين التزلج فوق المدرج والتزلج السياحي اذ ان النوع الاول يشتمل على الصعود آليا ويشكل مركزا معينا يجتمع حوله دوريا عدد من الرياضيين الانيقين او الفوضائيين ، اما النوع الثاني وهو اكثر صعوبة واقل متعة لدى الانحدار ، فانما يؤمن نوعا ما ،لهواة القمم ذوي الحاسة القوية ومحبي الانحدار البعيد المدى ، البهجة التي لا تنضب والدائمة التجدد .

ويجدر بنا الا تكون مدققين فنعود الى التزلج فوق المدرج وذلك حرصا منا على الا نقلل من شانه كثيرا . اننا نورد المراكز التالية ابتداء من الشمال الى الجنوب :

الارز : انه لمركز فريد من حيث موقعه الجغرافي وتشرف قممه على لبنان باسره كما تطل هذه القمم على الوادي المقدس الرابض تحت قدميه وهنالك اربعة مصاعد يستعملها المتزلجون لتنقلهم ، والقبطة تملأ نفوسهم ، الى المدارج المطلة على البحر .

اللقلوق : يقع هذا المركز العالي ضمن اطار رائع من الصخور والمنحدرات وقد زود بمصعد واحد بينما ينتهي اعداد ناقلة آلية للصعود وانه لمن المتوقع ان تباشر هذه الناقلة عملها عام ١٩٦٧ .

فاريا : يقع هذا المركز بجوار بيروت اذ انه يبعد عنها ٦٥ كيلو مترا فقط وقد زود هذا المركز بمصعدين وتؤمن وضعية المنحدرات الشمالية لهذا المركز الرياضي النوعية الممتازة والمتساوية من الثلج .

بسكنتا : سيتم خلال عام ١٩٦٧ اعداد ناقلتين آليتين للصعود ابتداء من سهل عين ابافيش حتى القمة الغربية لسلسلة صنين المحاذية لبيروت واننا نامل بان يلاقي هذا المركز الجديد اقبال الرياضيين الهواة.

ولندع هذه الاماكن المتمدنة لنلحق بهواة التزلج وهم في طريقهم لاكتشاف اللوحات الطبيعية الجميلة والمواقع الساحرة . ورغبة منا بالا نرهق القراء فاننا سنكتفي بتقديم لمحة خاطفة عن امكانات التزلج السياحي العديدة في لبنان وذلك عوضا عن وصف دقيق للمنحدرات البعيدة المدى المختلفة .

حرمون : انه لسيد الجبال اللبنانية حافل بالالغاز وشاسع المدى وهو يقع على الحدود اللبنانية السورية وعلوه الفان وثمانمائة متر ، اما نقطة الانطلاق فتبدأ عند البحيرة الواقعة جنوبي قرية راشيا حيث تتدفق السيارات ويجتاز ركابها ، مشيا على الاقدام السهل المليء بالحصاة والمؤدي الى بداية حرمون ، وانني لاذكر عندما فوجئت وثلاثة من رفاقي عام ١٩٥٠ ، بعاصفة هوجاء قل نظيرها تجتاز قمة هـذا الجبل بالقرب من الهيكل الروماني وبانهيار حائط من الجليد نحـو الاراضي السورية ، كما وانني اذكر كيف وصلنا الى منزل المختار الذي استقبلنا بحفاوة وقد تجلت الضيافة الشرقية بابهى معانيها ثم عدنا في اليوم التالي والجو مشبع بالصقيع وزرقة السماء كثيفةملبدة.

انني اذكر ذلك القطيع من الغزلان الذي تجمع وهو كئيب متطلعا الينا ونحن نمر وقد دهش ولا ريب من جراتنا ، واذكر ايضا ساعة وصولنا مرة اخرى الى القمة حيث بدا الفضاء امامنا فجاة وقد غـرق كل شيء في هذا الضوء الصباحي البنفسجي ثم ظهر فجاة شعاع الشمس وكانه عصا سحرية ليغمر تلك البقعة الجميلة كما بدت لنا سلسلة لبنان وشاهدنا سهل البقاع وجبل لبنان ، اما من الجهة الثانيـة فقد لاح لنا السهل الصحراوي السوري الذي يمتد حتى الغوطة وبحيرةطبريا.

وكان لا بد من انتظار ارتفاع الشمس حتى تنحدر ونتمتع برؤيا ذلك الثلج المخملي مجتازين النتوءات وسالكين الممرات من جنب الى آخر لنبلغ بعد مضي ساعة الملجأ ومركز انطلاقنا ثم نعود لنجتاز السهل حتى البحيرة حيث اوقفنا سياراتنا وهـي تذكرنـا بمـرارة العودة . ومنذ ذلك الحين ونحن نعود مرتين في السنة خلال شهر آذار لنعبـر هذه الممرات المغطاة بالثلج حتى نبلغ القمة حيث تعصف ريح هذاالجبل الشامخ وكنا نشعر كلما بلغنا هذه القمة باننا قد اعدنا اكتشاف هـذه المناظر الرائعة ونحن نحسبها كلها ملكا لنا وليس لغيرنا.ومما لا ريب فيه ان حرمون هذا سيكون مركز المستقبل للتزلج في لبنان وهو المركز الباعث للحبور والاحساس الدائم التجدد .

الباروك والصفا : ان قمتي الباروك والصفا اللتيـن تشتمـلان على اشجار الارز لتشكلان في حالة توفر كمية الثلج الصالح للتزلـج المركزين الوحيدين للتزلج في لبنان حيث الاشجار الجميلة العريقـة في القدم ، اما نقطة الانطلاق فتبدا عند قرية الباروك او نبع الصفا . ويبدو للناظر من اعلى القمة ، للجهة الشرقية سهل البقاع وحرمون بينما يظهر للجهة الشمالية ، المتن وكسروان وجبل الكنيسةوغابةصنين.

ضهر البيدر : يبدو الثلج في هذا الموقع وكانه باق مـن العام الماضي ! وهنا ايضا تعاودني الذكريات التي احسبها وكانها حاضـرة بالرغم من كونها تعود لعام ١٩٥٢ فاجد نفسي متاثرا بذلك المنظرالرائع الذي اكتشف من اعلى جبل الكنيسة ابتداء من « ملجا دي شايـلا » حيث تبدو المنحدرات الصلبة والمذهلة من الناحية الشمالية وهيتؤدي الى كفر سلوان بينما يبدو الانحدار ، من جهة اخرى ، رائعا في ضهر البيدر حيث كنا نسلك المنحدرات المتعددة لنصل دون صعوبة الـى الطريق العام . وانه من المؤسف حقا ان يجرد ضهر البيدر من الثلج.

غابة صنين : لقد شهد هذا المركز اولى خطواتي وليعذرنـي القارىء اذا ما استرسلت في حبي لاجمل غابة في لبنان وهي التـي تبدو لناظري المسافر اول ما تبدو سواء كان ذلك بحرا ام جوا .

كان ذلك خلال فصل الربيع عندما غادرنا بعد الظهر قرية فاريـا حاملين عدة التزلج والامتعة والزاد وقد وصلنـا بعد مضي ساعتين الى ملجا اللبن المعروف باسم ملجأ عين السيمان ، ولم يكن الطريق يومذاك قد بلغ السهل الذي يحمل الاسم ذاته . وشجعتنا زرقة السماءالصافية على التسلق فتوجهنا من الملجا باتجاه المزار سالكين طريقا منحدرةبرفق ثم اجتزنا النتوءات الصعبة حتى انتهينا بعد ساعة من المسير الى القمة. لقد رافق الحذر التسلق وذلك بغية الحفاظ على الالتحام وقد بـدت عند اقدامنا وعورة الجهة الغربية والاودية المغطاة باشجار الصنوبـر حيث تقوم القرى وقد ارتفع القرميد الاحمر فوق منازلها . اما البحر المتوسط الامين فقد لاح بقربنا في متناول اليد ، وهو تارة عابـق بالحرارة واخرى غارق في زرقة كثيفة .

وبلغنا الهيكل الروماني الصغير حيث تجمعت بعض الحجـارة الكبيرة : انه المزار وارتفاعه ٢٤٥٠ مترا . ومضت ساعة من التامـل بدا على اثرها آخر شعاع للشمس ليصبغ باللون الاحمر القمم المجاورة بينما ظهرت من البعيد عبر سهل البقاع قمم حرمون وقد اصطبغـت باللون الازرق . انه لمنظر جبار ، مدهش لا مثيل له . لقد اطل القمر من الشرق وقد بدا وكانه لم يعد ذلك القمر الفضي الهادىء . انـه لمشهد رائع ان نرى آخر خيوط الضوء وان يتقلص الاحمرار عنالارض والافـق والبحـر .

ان نرى ايضـا هذا الضوء المنحل وقوس القزح هذا الذي يبدو في الافق المظلم ويرتفع رويدا رويدا . ثم ينحدر نحو الغرب لاحقـا بالشعلة التي ترتسم .لقد شعرنا بالبرد وكان لا بد من الانحدار وكاد

الثلج ان يصبح صلبا بحيث تصعب العودة غير اننا لم نبال ما دمنا نشعر بدفء داخلي تولده ذكرى روعة الجبل اللبناني .

ويشكل ملجأ فاريا مركز الانطلاق لرحلات اخرى ونذكر ثلاثة منحدرات هامة وهي تقع في الجهة الغربية : الكوكادو والمنحدر الكبير وممر برلان . وتبعد هذه المنحدرات بعضها عن بعض وهي تشتمل على نسبة انحدار بمعدل حوالي الف متر على طول كيلومترين .

الكوكادو : اخذ هذا الاسم عن اسماء ثلاثة من المتزلجين الاولين: كوتوربيه ، وكافرد ، ودوز ، انه بداية الانحدار تتم فوق دورة المهماز ويتوجب الاتجاه نحو الشمال لدى الوصول الى الحاجز الصخري وان ما يشاهد يدعو الى التامل ويترتب على المتزلج ان يحتفظ بتوازنه بحيث يتوقف هذا المتزلج عند اقدام السهل وعلى عمق ٨٠٠ متر .

المنحدر الكبير : انه الانحدار المالوف وهو الاكثر امانا واذا ما تعثرت رجل احد المتزلجين في الثلج الصلب فانما يصعب وجود اي حاجز ليحتضنه ويتوجب هنا ايضا ان يكون المتزلج يقظا غير ان الانحدار نحو البحر يشكل مصدرا للبهجة الحلوة التي يولدها التزلج السياحي في لبنان .

ممر برلان : هذا الممر بعيد اذ انه يتوجب الوصول الى قمة صنين رقم ٢ : ، الارتفاع ٢٦٠٠ متر ، كما يتوجب السير في الجهة الجنوبية والانحدار في المدرج الجميل المتنوع لممر برلان بحيث تشكل هذه الرحلة متعة طيبة لانها تتيح للمتزلج اجتياز غابة صنين من الشمال الى الجنوب .

اللقلوق : هذا المركز العائلي الرائع هو نقطة انطلاق الرحلة في حالة توفر الثلج وانها لرحلة جميلة تلك التي تبدأ من اللقلوق والارز عبر غابة الارز في تنورين بالرغم من كونها شاقة لانها تتطلب اكثر من ١٤ ساعة اذا ما قام بها فريق كفء .

الارز : انه ولا ريب مركز الانطلاق لاجمل الرحلات ضمن هذا الاطار الرائع ، العريق في القدم وان اجمل نزهة تتوفر لدى القيام برحلة تبدأ من المنحدر الشمالي نحو مجموعة الارز مرورا بسير القسنية وهي تعد من اسهل النزهات التي يمكن ان تتوفر في لبنان .

ومع ذلك فانه لمن المهم ان يصطحب كل من يجهل طبيعة الارض دليلا او يمارس التزلج عندما يتوفر الطقس الجميل .

المنطقة الحـرة في مرفـأ بيروت :

الخطوة الاولى نحو النمو الصناعي في لبنان

اتجه لبنان منذ نهاية الحرب العالمية الثانية نحو اختيار قديم حقق له ، منذ ذلك الحين ، تكييف نموه الاقتصادي والاجتماعي وانه لمن المحتمل ان يتابع هذا الاختيار العمل من اجل تحقيق هذا التكييف لسنوات عديدة ايضا : لقد اختار لبنان نظام الاقتصاد الحر الذي يؤمن للمبادرة الخاصة مجالا رحبا للعمل سواء كان ذلك في الزراعة او في التجارة والخدمات والمال .

وعلاوة عن ذلك فقد بذلت السلطات اللبنانية الجهود بالرغم من اخفاقها احيانا بغية تامين كافة الشروط المطلوبة من اجل ازدهار العمل الحر ويعتبر انشاء المنطقة الحرة في مرفأ بيروت حلقة من سلسلة الاجراءات التي اعتمدت لتعزيز حركة الانعاش الاقتصادي في لبنان عن طريق ازدهار المبادرة الخاصة .

وقد جاء في خاتمة الدراسة التي اعدتها بعثة ايرفد عام ١٩٦١ بصدد مجموعة الاعمال الاساسية في لبنان تحت عنوان المواصلات ما يلي : « تجدر الاشارة الى الدور المفيد الذي تؤديه المنطقة الحرة في مرفا بيروت من الناحية الصناعية مما يدل على ان بعض المبادرات قد فتحت طريقا في حقل النمو الصناعي » .

لقد صادفت المنطقة الحرة منذ انشائها نهضة مستمرة اتضحت بصورة خاصة من خلال الطلبات المتعددة التي قدمت من لبنان والخارج بصدد استئجار المستودعات الخاصة وقد استأجرت احدى المؤسسات التجارية الافريقية الهامة « شاطىء العاج » مستودعا تبلغ مساحته ٤٧٢ مترا مربعا لتخزين البن وبيعه بالاضافة الى المؤسسة البرازيلية للبن بحيث ارتفع عدد المستودعات الى اثنين . هذا وقد طلب كل من الارجنتين وغانا والباكستان وافغانستان استئجار المستودعات التي ستستعمل كمركز لتوزيع محاصيل هذه البلدان في منطقتي الشرق الادنى والبحر المتوسط وستلبى هذه الطلبات في نهاية العام الحالي وذلك عندما تنجز اشغال التحضير للحوض الثالث في المرفا .

ما هي المنطقة الحرة في بيروت ؟

انها تشكل مستودعا رحبا للبضائع الواردة من كافة انحاء العالم وموقفا مثاليا للتجارة بين اوروبا وافريقيا والاميركتين وبلدان الشرق الادنى والشرق الاوسط هاتين المنطقتين الاخيرتين اللتين تشكلان سوقا رحبة بالنسبة لعدد سكانها البالغ خمسين مليون نسمة وبالنسبة للموارد البترولية الجبارة .

وتبلغ مساحة المنطقة الحرة حاليا « ١٢٢٠٠٠ » متر مربع وقد ادركت السلطات اللبنانية اهمية هذا القطاع الاقتصادية فلحظت اشغال التحضير لعدد من المستودعات الجديدة تبلغ مساحتها (٢٥٠٠٠) متر مربع وذلك ضمن نطاق مشروع بناء الحوض الثالث للمرفأ .

وهناك ايضا مشروع يلحظ عملية التحويل ، في المستقبل لمدن الساحل اللبناني بكاملها « صيدا ، البترون او طرابلس » الى مدينة حرة وذلك بعد ان تنجز مجموعة الاعمال الضرورية « كالطرق والسكة الحديدية والهاتف والكهرباء والارصفة الخ ... »

المنطقة الحرة لا تخضع للنظام الجمركي :

ان المنطقة الحرة في بيروت لا تخضع للنظام الجمركي كما ان دخول البضاعة الى هذه المنطقة وخروجها منها لا يخضعان لاي قيد . وتفيد الصناعة بصورة خاصة من قيمة المادة الاولية المخفضة بغية تنمية صادراتها كما ان اعادة تصدير البضائع التي تصنع او تحول في المنطقة الحرة تتم ضمن افضل الشروط .

تتألف المنطقـة الحالية مما يلي :

ـ المستودعات العامة : حيث تخزن البضائع التي تشحن الى جهة غير محددة بانتظار شار ثم تعود فترسل الى اي ناحية كانت .

ـ المستودعات الخاصة : وهي مستودعات تؤجرها شركة المرفا للتجار من اي بلد كانوا ، او مستودعات انشأها رجال الاعمال وفقا لرغباتهم وطبقا لما تتطلبه حاجات اعمالهم التقنية ، وذلك فوق ساحات من الارض تم استئجارها من شركة المرفا .

ـ المصانع والمشاغل : وهي ابنية انشئت ضمن نطاق الشروط المذكورة اعلاه حيث يتمكن الصناعيون والتجار الذين يؤمنون المواد الاولية من اعادة تصدير هذه البضائع الى اي بلد كان .

ويسمح في المنطقة الحرة بالقيام بكافة اعمال التوضيب والتنظيف والنخب والمزج والتنسيق والغربلة والتقسيم والتحميص والطحن والتكسير والسحق وتحويل البضائع بما فيه تصنيف التبغ الاجنبي والمزج من التبغ الوطني . وتتم بصورة عامة عمليات مزج المحاصيل الاجنبية مع غيرها من المحاصيل الاجنبية او البضائع الوطنية .

الصناعة في المنطقة الحـرة :

يوجد حاليا في المنطقة الحرة ١٤٠ تاجرا او صناعيا وهـم يستخدمون حوالي ١٥٠٠ عامل . ان الارقام العائدة للصناعة بنوع خاص، هـي التاليـة :

ـ عدد المؤسسات : ١٣ ـ منها ١٢ مؤسسة تعنى بصناعة الملبوسات وواحدة لاعداد المصارين .ـ الاموال الموظفة : حوالي « ٢٥٠٠٠٠٠ » ليرة . ـ عدد ارباب العمل : ١٨ . ـ عدد العمال : ٥٢٨ . ـ الاجور: حوالي « ١١٠٠٠٠٠ » ليرة .

ـ المبيعات : ـ في السوق اللبنانية : حوالـي « ٧٥٠٠٠٠ » ليرة . ـ التصدير : حوالي ٩٦٠٠٠٠٠ » ليرة . اي ما مجموعه حوالي « ١٠٣٥٠٠٠٠ » ليرة سنويا . ان المحاصيل التي تباع في السـوق اللبنانية تخضع للنظام الجمركي العادي .

ـ مشتريات المواد الاولية : ـ السوق اللبنانية : حوالـي « ٧٠٠٠٠٠ » ليرة . ـ الاسواق الخارجية : حوالي « ٦٥٠٠٠٠٠ » ليرة . ـ اي ما مجموعه حوالي « ٧٢٠٠٠٠٠ » ليرة سنويا .

ـ اهم المحاصيل : الثياب الجلدية ، البياضات والملبوسـات الداخلية للرجال والنساء والمصارين الملحة .

وقد اشتملت المنطقة الحرة قبل عام ١٩٦٤ ، على مصنع لتوضيب الخضار الجافة ونزع القشرة عن هذه الخضار ومصنع لاعداد التبغ واخر للعطور ومصنع للمستحضرات الطبية .

وقد اضطر عدد من المؤسسات التي اتسعت اعمالها للانتقال الى خارج المنطقة بالنسبة لضيق المساحات وازدياد النفقات المختلفـة « كالحراسة وغيرها » وسيذلل القسم الاكبر من هذه الصعوبات عندما تنجز في نهاية هذا العام اشغال اعداد الحوض الثالث في المرفا واعمال توسيع المنطقة الحرة في المنطقة التي ستتمكن عندئذ من تدشين المرحلة الجديدة في حقل انعاش هذا المرفا .

حركـة الرساميـل في لبنـان :

لبنان الواقع عند ملتقى الطرق الكبرى التي تربط الشرق بالغـرب ، ينعم بوضع ممتاز في الشرق الاوسط . ومما لا شك فيه ان ذلك يعود الى وجود الاقتصاد الحر الذي اتبع لينسجم والاستمرار السياسـي وليؤمن للبنان الاستقرار والاشعاع . ومركز بيروت على الصعيد المالي هو السوق الحرة الوحيدة في المنطقة بكاملها ، وتختلف عمليات التحكيم الدولية التي تعقد في هذا المركز عن العقود الدولية للاقتصاد اللبناني ، هذا بالاضافة الى العمليات المعقودة مع الخارج سواء كان ذلك بالليرات اللبنانية ام بالعملات الاجنبية وهي عمليات تتميز بالحركة النامية دوما، وهي تدل من جهة على اشتراك لبنان المتزايد في النشاط المالي الدولي كما تدل من جهة اخرى على مقدرة التمويل التي يؤمنها نظامه المصرفي لاقتصاديات البلدان المجاورة .

سـوق بيـروت

تتميز سوق بيروت بانها سوق حرة ، ومستقلة ، وحافلة بالاتساع بفضل مناعة الليرة اللبنانية .وبتحليل هذه المميزات الثلاث يتبين :

١ ـ ان سوق بيروت وهي سوق حرة ، لتؤمن الحرية المطلقـة للرساميل التي تلجأ اليها او تستقر فيها . وليس هناك اي عائق او مراقبة عند الحدود ، بصدد دخول الرساميل وخروجها ، سواء كانـت هذه الرساميل اوراقا نقدية ام شيكات ، بينما يؤمن عدم وجود هيئـة مراقبة القطع هذه الحرية للعمليات النقدية التي تتم بشكل التحاويل المصرفية بحيث تتمكن الممتلكات النقدية ، سواء كانت ليرات لبنانية ام اجنبية من التنقل بحرية شرط ان تخضع لاحكام الطلب المعقـودة ، بالتراضي المتبادل فيما بين اصحاب الودائع والمصارف التي تستقبـل هـذه الودائـع .

يضاف الى ذلك كون هذه الحرية المطلقة المؤمنة للرساميل والصادرة دون ريب عن النظام الحر المعمول به في لبنان قد وجدت ذاتها معززة بقانون السرية المصرفية المعتمد منذ اكثر من عشر سنوات وهو القانون موضع اعتزاز لاصحاب المصارف اللبنانيين . وهل من حاجة للقول بأن مثل هذا النظام الحر لا يتوفر في اي بقعة من العالم .

٢ ـ ان سوق بيروت سوق مستقلة حيث تودع الرساميل وتوجه نحو الاماكن النهائية المرسلة اليها ، وتتعارض السوق المستقلة مـع السوق الثانوية التي تخضع للسوق الدولية ذات الحجم المالي الاكبر وذات امكانيات التوظيف الاكثر اتساعا بحيث تضطر الرساميل العاملة في السوق الثانوية الى المرور بواسطة الترانزيت .

ويعود الفضل في ان بيروت تنعم بمثل هذا الاستقلال ، وهو ميزة الاسواق المالية الكبرى الى نظامها المصرفي الواضح المزدهر . لقد بلغ عدد المصارف في لبنان حتى ٣١ كانون الاول عام ١٩٦٥ ٨٧ مصرفـا اعترف بها لبنان بعد دراسة ملفاتها منها عدد من الفروع لمصـارف عالمية كبرى ، وقد تأسست منذ سنوات عديدة وكلها ثقة بمركز لبنـان الممتاز في سوق الرساميل الدولية . وتؤمن هذه المصارف لزبائنها بفضل شبكة مراسليها المنتشرة في العالم والاتصالات اليومية السريعة التـي تربطها باوروبا واميركا والشرق الاقصى ، تؤمن الخدمات المتنوعـة كالتحويل الى نقد احتياطي ، وعمليات القطع التحكيمية الدقيقـة ، اما طاقتها في التمويل فهامـة .

ويبدو هذا الاستقلال الذي يمهر سوق بيروت بطابعه في المظهرين التاليين : مجموعة من درجات الفوائد الرحبة ، وسوق مزدهرة للقطع. وهناك مجموعة من درجات الفوائد الرحبة تتناول معا الرساميل العاملة والسلفات المصرفية . وتتقارب درجات الفوائد التي تمنح لودائع الاجل الطويلة من فوائد السلفات المصرفية للامد القصير بحيث تبدو امكانيات التوظيف في لبنان رحبة ، بالاضافة الى كون لبنان يخلد التقليـد الفينيقي القديم من حيث التعامل ، هذا وتمول سوق بيروت التجارة الخارجية للبلدان المجاورة ، كما تمول التجارة المتعلقة بين كافة بلـدان العالم التي لا تقوم بينها علاقات متبادلة الخ ...

وتشوق سوق بيروت الرساميل الاجنبية بمنحها درجات متكافئة من الفوائد ، وذلك وفقا لحاجات هذه السوق وامكانياتها للتوظيف في لبنـان او فـي الخـارج .

سـوق مزدهـرة للقطـع

ان سوق القطع في بيروت هي السوق الحرة الوحيدة في كـل المنطقة وانه ليتوجب التعبير عن هذه الحرية كاداة في متناول المعارف لتتمكن من الحصول على العملات الاجنبية بما لديها من ممتلكات خاصة.

ويساهم استباق حركات الرساميل العائدة للصفقات التجاريـة والايداع المالي والنقدي ، في لبنان او الخارج الصادر عن النظام المصرفي وعملاء الاقتصاد وعمليات التحكيم المعقودة مع البلدان المجاورة واوروبا لمختلف هذه الحاجات ، يساهم هذا كله في اعطاء سوق بيروت للقطع الحيوية اليومية التي تقارن « مع الاحتفاظ بالنسبة » باكبر المراكـز الماليـة فـي العالـم .

اما الودائع المتداولة فيما بين المصارف فتشهد عمليات هامةوتبلغ اهمية حجمها نسبة اهمية حركات البضائع او بالاحرى مجموع العمليات الدولية للاقتصاد اللبناني .

٢ – ترتكز سوق بيروت في الدرجة الاولى ، على قوة الليرة اللبنانية وخلافا لوضع بعض البلدان التي نالت استقلالها بعد الحرب والتي ما برحت العملة فيها مرتبطة وخاضعة للعملة الاجنبية ، فان الليرة اللبنانية لا ترتبط بمنطقة ما من المناطق النقدية الكبرى التي تقسم العالم ، مما يؤمن لها الاستقلال النقدي والقوة من حيث القطع في سوق بيروت المالية .

ويمكن ان تقارن الليرة اللبنانية باقوى العملات الشهيرة ، اذ انه من حيث الكفاءة في القدرة الشرائية المتعادلة تفوق تغطية الذهبلليرة اللبنانية معدل تغطية الذهب للفرنك السويسري بنسبة حوالي ٤٠ بالمئة ، بحيث يمكن القول ان سوق بيروت المالية هي ايضا قوة في سوق القطع . وقد بلغت نسبة تقلباتها القصوى عام ١٩٦٥ ، ٢.٥ – ٣.٨ قروش لبنانية للدولار الواحد .

حركـــات الرساميـــل

يجب ان تتم عملية التخمين لحركة الرساميل في سوق بيروت ضمن اطار ميزان المدفوعات الذي يظهر التدفق النقدي الناجم عن العمليات التجارية والتدفق المالي الصادر عن عوامل التوظيف وعدم التوظيف التي تمت في لبنان كما وانه تجدر الاشارة الى وجوب اعتبار الممتلكات المصرفية للعملات الاجنبية ومقدرة تمويل النظام المصرفي .

خلال عام ١٩٦٢ ، بلغ مجموع الدخل الوطني ١٨٧٧ مليون ليرة لبنانية و ١٩٥١ مليون ليرة لبنانية ، عام ١٩٦٣ ، وقد شهد لبنان خلال هذين العامين في الدخول والخروج تدفقا نقديا وماليا بقيمة ٣٦٢٥ و ٣٣٩٤ مليـون ليرة لبنانية .

وتنجم حركات الرساميل الهامة عن فئات ثلاث من العمليات والممتلكات والخدمات وهذا مما يدعو الى الدهشة اذا ما لوحظ من جهة ، بان القطاع التجاري يحتل المرتبة الاكثر اهمية والاكثر استقرارا في الدخل الوطني ، بينما يشهد من جهة اخرى اسهام القطاع المصرفي والمالي نموا تتعدى حركة ارتفاعه الدخل الوطني الاجمالي .

ففي عام ١٩٦٥ بلغت قيمة الدخل الوطني الاجمالي ٢.٣٨ مليـون ليرة ، وقيمة دخل القطاع التجاري ٥١٤ مليونا وقيمة دخل القطاع المصرفي – المالي ١٤٥ مليونا ، وبلغت حصة الدخل التجاري ٢٥بالمئة، ونمو الدخل السنوي الوطني ٤،٥ بالمئة ، ونمو الدخل السنوي للقطاع المصرفي المالي ١٠ بالمئة .

وهذا ما يبرر على اكمل وجه ، ما يوفره النظام المصرفي لتمويل الاقتصاد الوطني ونمـو الدخـل الوطني .

معنى حركات الرساميل

لم يتمكن لبنان من سد حاجاته بالرغم من نمو انتاجه الوطني ، اذ انه يترتب عليه استيراد المواد الغذائية فقد استورد بمبلغ ٢٤٩ مليونا عام ١٩٦١ . و٢٧٤ مليونا عام ١٩٦٤ .هذا ويحتل استيرادمعدات التجهيز ومواد النقل مركزا هاما ١٨٩ مليونا عام ١٩٦١ و ٢٤٤ مليونا عام ١٩٦٤ . وقد ارتفعت قيمة استيراد الذهب والمواد الثمينة الى ٣٥٩ مليونا عام ١٩٦٤ مقابل ٣٠٣ ملايين عام ١٩٦١ بينما لم تتجاوز قيمة التصدير لمثل هذه المواد ٨ ملايين و ٣١ مليونا .

ويبدو العجز في الميزان التجاري للبنان بشكل نظامي ، ولذا بادر المسؤولون الى تنمية الانتاج الوطني ، فارتفعت الرساميل العاملة في الصناعة من ٦٤١ مليونا عام ١٩٦١ الى ٨٢٨ مليونا عام ١٩٦٤ ، وذلك بغية التحقيق من هذا العجز وتعزيز النمو الدائم للاقتصاد اللبناني بفضل الرساميل العاملة ، ليتمكن هذا الاقتصاد ، وفقا للمخطط المعتمد، من العبور من مرحلة الاقتصاد غير النامي الى الاقتصاد النامي بحيث يصبح اقل ارتباطا بالعالم الاجنبي .

وقد ارتفع العجز خلال فترة ١٩٦١ – ١٩٦٣ في عمليات البضائع والذهب غير النقدي من ٨٢٠ مليونا الى ٨٦٣ مليونا اي بزيادة ٤٣ مليونا . وارتفع ميزان الخدمات خلال الفترة ذاتها من ٥٦٨ مليونا الى ٦٤٤ مليونا اي بزيادة ٧٦ مليونا اي ما يعادل ضعف زيادة العجز في ميزان البضائع ونسبة نمو مرتفعة + ١٤ بالمئة وهي نتيجة جيدة اجمالا.

دخـل النظـام المصرفـي

وستستعمل احصاءات عام ١٩٦٥ بغية تخمين ما يوفره النظام المصرفي لحركات الرساميل . لقد باشر مصرف لبنان في نشاطاته بتاريخ اول نيسان عام ١٩٦٤ ولم تكن الاحصاءات التي سبقت مباشرة هذا المصرف باعماله لتمكن من القيام بالتحاويل النقدية اذ انه لا يمكن مقارنة هذه الاحصاءات خلال الفترة الواقعة ما بين الاعوام ١٩٦١و١٩٦٣ وهي تعبر عن نسبة ارتفاع مقبولة .

فقد ازدادت قيمة الاعتمادات المصرفية المخصصة للاقتصاد خلال عـام ١٩٦٥ ، ٣٦٦ مليونا فارتفعت الى ٢.٠٢٧ مليونا حتى ٣١كانون اول عـام ١٩٦٥ .

وتبين نسبة النمو المرتفعة ما يقدمه النظام المصرفي لتمويـل الاقتصاد اللبناني الذي يرتكز على التجارة الخارجية ، بحيث يتضح ان مقدرة النظام المصرفي قد سدت قسما كبيرا من حاجة التمويل الناتج عن عجز الميزان التجاري . كما يتضح ايضا ان تمويل الاقتصاد قد ارتكز خلال عام ١٩٦٥ على الخارج بنسبة اقل من معدل عام ١٩٦٤.

نتائـج نشـاط النظـام المصرفي

ازدادت خلال العام الحالي قيمة الممتلكات الصافية للخارج ٢٨٢ مليون ليرة لبنانية وتبدو هذه القيمة مفيدة لتوازن ميزان المدفوعات .

وقد سبق القول ان اعمال المصارف اللبنانية لم تقتصر على تمويل التجارة والاقتصاد اللبناني فحسب انما تقدم هذه المصارف ايضا مساعداتها لاقتصاديات البلدان المجاورة وذلك في حقل صفقات البضائع كما وانها تقوم بايداع الاموال في الخارج حيث تمنح درجات الفوائد المتكافئة وتشترك في العمليات المالية الدولية وفقا لحاجاتها ومصالحها. وهي تعمل اما لحسابها الخاص او لحساب زبائنها الراغبين في تغطية انفسهم ازاء خطر التقلبات التي تطرأ على اسعار القطع .

ولم تتوفر الى الان الاحصاءات العائدة لكافة هذه النشاطات انما يمكن القول ، دون خطأ ، بان مجموع القيم المتداولة في هذا الحقل يبلغ حوالي ستماية مليون ليرة لبنانية .

ان لبنان ، وهو البلد التجاري ، مدعو ان يؤمن لنفسه تجارة خارجية هامة غير ان التوقف عند هذا الهدف الوحيد قد يؤدي في النهاية بالنسبة الى انظمة البلاد الحالية الى حالة من الارتباط ازاء الخارج . هذا وتمكن زيادة الانتاج الوطني بفضل التوظيفات الزراعية والصناعية الملائمة من تخفيف العجز في الميزان التجاري وتؤمن في الوقت ذاته اوسع العمليات المالية على الصعيد الدولي .

وقد وضعت مخططات التنمية منذ عام ١٩٥٨ في ضوء هذه النظرية.

يوسف الخوري

اليانصيب الوطني اللبناني

مؤسسة حكومية مرصد ريعها لأعمال الاسعاف الاجتماعي

تعديلات هامة في جوائز اصداراتها

٢٠ اصدارا شعبيا	الجائزة الكبرى	٢٥٠٠٠ ل.
١٨ اصدارا شعبيا خاصا	الجائزة الكبرى	٤٠٠٠٠ ل.
٤ اصدارات سويبستيك	الجائزة الكبرى	٥٠٠٠٠ ل.
٧ اصدارات عادية	الجائزة الكبرى	٦٠٠٠٠ ل.



ملكة جمال لبنان لعام ١٩٦٦
الانسة يولا حرب

تدفع الجوائز في المديرية
معفاة من كافة الرسوم والضرائب